



مكتبة المحرّوب الصّليبيّة

الوحدة وصركات اليقظة العربيّة
ابّان العدوّان الصّليبي

دكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربيّة

للطباعة والنشر
بيروت ص.ب ٧٤١

0130657



Bibliotheca Alexandrina



مكتبة المحرّوب الصّليبيّة

الرهّة ومركّات اليقظة العربيّة ابّان العدوّان الصّليبي

دكتور هوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

دار النهضة العربيّة
للطباعة والنشر
بيروت من.ب. ٧٦٩

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
"قرآن کریم"

مقدمة الطبعة الثانية

يسعدني أن أقدم المجلد الرابع في سلسلة «مكتبة الحروب الصليبية» التي تصدرها دار النهضة العربية ببيروت بلبنان، تحت اسم «الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي»، وكانت طبعته الأولى قد صدرت سنة ١٩٦٧.

والكتاب عبارة عن دراسة مركزة في فلسفة الحروب الصليبية. وهي تتعلق، أساساً بالأطراف التي ساهمت في هذه الحروب، ومسرح الأحداث، وموازين القوى ومراكز الثقل في الصراع بين المسلمين والصليبيين وقتها، وما يتصل بهذه القضايا من مفاهيم مثل الأفعال وردود الأفعال، والهجمات والهجمات المضادة، واتخاذ سياسة الهجوم أو الالتزام بسياسة الدفاع، والأسباب والمسببات وما يترتب عليها من نتائج وخواتيم. تم ارتباط ذلك كله بالظروف الموضوعية، من سياسة واجتماعية واقتصادية وغيرها، التي سادت العالمين الاسلامي والمسيحي انذاك، وما يمكن أن نستخلصه من وراء ذلك من آراء وأفكار.

المؤلف

بيروت (لسان) يناير ١٩٨١

مقدمة

لا يهدف هذا البحث إلى دراسة العدوان الصليبي بتفاصيله ودقائقه . فهذا موضوع كتب فيه وفي مختلف جوانبه أساتذة أخصائيون في الشرق والغرب ، ثم أنه موضوع أكبر من أن تتسع له بضع صفحات . وإنما يهدف هذا البحث أساسا إلى إلقاء نظرة موضوعية شاملة على منطقة الشرق الأدنى العربي التي كانت مسرحا للعدوان الصليبي مدة ثلاثة قرون أو تزيد ، وذلك في محاولة للتعرف على الجنبات الرئيسية للعدوان ، واستخلاص النتائج الجوهرية المرتبطة بها ، وما تكشف عنه من آراء واستنتاجات وأحكام لها مغزاها ودلالاتها .

لقد أصبحت الحركة الصليبية معروفة لنا من وجهة النظر الغربية . لكنها ، إذ تعتبر عدوان توسعي استعماري تعرض له العالم العربي في عصر من عصوره ، لا تزال تنتظر المزيد من البحوث والدراسات التحليلية ، لاستجلاء ما غمض من خباياها . وهذا هو النقص الذي يشوب الكتب والمراجع الأجنبية ، التي تناولت تاريخ تلك الحركة على نحو يعبر عن وجهة نظر واحدة ، اتسمت بعدم الحيادة وخرجت لا تصور الحقيقة والواقع تصويرا صادقا .

وكان طبيعيا أن تعتمد هذه الدراسة التحليلية على العديد من المصادر عربية وغير عربية . فأما المصادر العربية فمنها ما هو خطى لم ينشر بعد ، وما هو مطبوع . وأما الأصول الأجنبية فمنها اللاتيني والبيزنطي والأرمني ؛ وبعضها لا يزال بلغاته الأصلية التي كتب بها ، والبعض الآخر ترجم إلى اللغات الأوروبية الحديثة . يضاف إلى ذلك المراجع العربية والأجنبية في تاريخ

مصر والشرق الأدنى في العصر الاسلامى ، وتاريخ العدوان الصليبي، وتاريخ
العصور الوسطى بصفة عامة .

والأمل كبير أن يكون هذا البحث وغيره من البحوث التي ظهرت أخيرا
في المكتبة العربية ، فاتحة لدراسات جديدة في هذا الميدان تلي الضوء على
ما خفي من زواياه ، وتكشف للعروبة حركة من سلسلة الحركات العدائية
التي تعرضت لها على مدى التاريخ.

والله أسأله السداد

المؤلف

الاسكندرية في ١٠ نوفمبر ١٩٦٦

البحر المتوسط « بحيرة عربية »

في أخريات القرن الخامس الميلادي سقطت روما في أيدي العناصر الجرمانية المتبربرة ، وبذلك انتهت دولة القياصرة الأقدمين ، وأقام الجرمان على أنقاضها ممالك لهم في غربى البحر الايض المتوسط. هذا ، بينما انتقل الأباطرة الرومان إلى الشرق ، وجعلوا من القسطنطينية عاصمة لدولتهم الجديدة ، ونعنى بها دولة الروم الشرقية أو الدولة البيزنطية التى كانت تسيطر فى ذلك الحين على شبه جزيرة البلقان والحوض الشرقى للبحر المتوسط ^(١) .

هكذا أنهارت الدولة الرومانية القديمة ، وبدأت العصور الوسطى فى جو من الفوضى والاضطراب . وفى ذلك يقول المؤرخ الشهير ادوارد جيبون E. Gibbon فى كتابه المسمى « انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية » ، انه انما يمسك بقلمه لكى يسرد سيرة مليئة بحوادث التدهور والانحطاط التى تغلبت فيها البربرية والدين على النظام والحضارة ^(٢) . والمقصود بذلك تغلب

(١) Cf. N.F. Cantor(ed.), The Medieval World, New York, 1963, 10, (١)

15, 67 ff. ; J.L. LaMonte, The World of the Middle Ages, New York, 1949, 5 ff., 40 ff.; S. Katz, The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe, New York, 1960, 73, 85, 93, 98 ff.; S. Painter, A History of the Middle Ages, London, 1966, 18 ff., 33 f., 62 ff.

(٢) أنظر رأى جيبون فى الكتاب التالى: 10-11, Cantor, op. cit. - راجع أيضا تعليق كولتون على رأى جيبون فى كولتون (ج. ج.): عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة - ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف - الاسكندرية ١٩٦٤ - ص ١٠ - ١١ و ١٣ .

الجرمان والمسيحية على الجهاز الرومانى العتيق ، أو بكلمة أخرى انهيار المدنية وبداية البربرية فى التاريخ الأوروبى .

واستمر الغرب الأوروبى ودولة الروم يعانيان من حالة الضعف هذه حتى أوائل القرن السابع الميلادى . فى العقود الأولى من هذا القرن وقعت فى شبه الجزيرة العربية أحداث كان لها أهميتها البالغة ، وآثارها البعيدة المدى فى تطور التاريخ البشرى . إذ ظهر الاسلام يدعو الناس عامة إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام ، والعرب بنخاصة إلى الاتحاد والتآلف والمحبة ونبذ الفرقة والخلاف . ولم تمض بضعة سنوات حتى كانت هذه الدعوة الجديدة قد تمكنت ، ودانت لها كافة القبائل العربية المشتتة المتنازعة ، التى أصبحت ترى فيها رمز وحدتها وشعار مجدها وأمل مستقبلها . وعلى هذا الأساس قامت الدولة العربية الفتية ، وخرجت من جزيرتها الصغيرة للفتح ، نشرا لدعوتها ، ودفاعا عن كيانها ، وتأمينا لمجتمعها من مناوشات جيرانها ومضايقاتهم المستمرة على الحدود . فانطلقت لتعظم بالذول المتاخمة لها ، وأصبح الكفاح بين العرب والروم من ناحية ، وبين العرب وأهل الغرب من ناحية أخرى ، أمرا واقعا ، بل ضرورة وسياسة اقتضتها سلامة الدولة العربية وأمنها .

وفى هذه المرحلة التزم كل من الروم واللاتين جانب الدفاع بسبب الضعف الذى انتابهم ، فى وقت كانت تتقدم فيه الأمة العربية ، بعد أن اتحدت وتآلفت ، تقدما سريعا فى الجهتين الشرقية والغربية . فى الجهة الشرقية أحرزت انتصارات سريعة متلاحقة ، فامتلكت خلال القرنين السابع والثامن بلاد الشام وشرقى آسيا الصغرى مصر وشمال إفريقيا وبعض الجزر فى البحر المتوسط . أما فى الجهة الغربية ، فقد امتدت الفتوحات العربية حتى

أسبانيا ، ومنها عبر العرب جبال البرانس ووصلوا إلى فرنسا نفسها ، وإن لم تساعد الظروف على بقائهم هناك . كما استولوا على جزيرة كريت في القرن التاسع ، ووقعت صقلية وجنوبي إيطاليا في قبضتهم في أوائل القرن العاشر (١) .

ومما يؤسف له أن بعض المؤرخين الغربيين ، من قدامى وحديثين ، قد نظروا إلى حركة الفتح نظرة حقد وتعصب ؛ بينما حاول البعض الآخر أن يقلل من شأن قوة العرب وحساسهم ، مما لا يتفق بحال مع الحق والامانة العلمية (٢) .

كانت هذه مقدمة لابد منها ؛ إذ هي أول تجربة حية أثبتت أن اتحاد العرب وتكتلهم يمكن أن يأتي بالمعجزات . ويكفي أن ميزان القوى في هذا الكفاح الحيوى بالنسبة للعرب - والذي امتد منذ الفتح حتى أوائل القرن العاشر - كان في صالحهم . فقد انتشرت على طول شواطئ البحر الأبيض المتوسط مدن وبلدان عربية ، ذات حضارة عربية ، وتكلم اللسان العربى ؛ مما دعا العالم البلجيكي هنرى بيرين H. Pirenne إلى أن يقول بحق ان ذلك

Gf. F. Lot, Les Invasions Barbares, Paris, 1942, 13 ff.; R.E.(١)

Sullivan, Heirs of the Roman Empire, New York, 1960, 9 - 10, 24 ff.; P. K. Hitti, History of the Arabs, London, 1964, 139 ff., 212 ff., 493 ff., 602 ff.; F. Gabrieli, Les Arabes , French Trans. by Marie de Wasmer, Paris, 1963, 57 ff.; S. Runciman, A History of the Crusades, Vol. 1, Cambridge, 1954, 14-19; Painter, op. cit., 191.

(٢) أنظر عن ذلك محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية - الجزء

الأول - القاهرة ١٩٣٤ - ص ١ - ١٠ .

البحر أصبح بحيرة عربية خالصة ، بعد أن كان فيا مضى بحرا رومانيا ^(١) ، أو « بحرنا » Mare Nostrum حسبما كان الرومان القدماء يسمونه ^(٢) .

غير أن هذا النصر الباهر الذي أحرزه العرب نتيجة لتوحيد صفوفهم ، لم يلبث أن أعقبته ضربات مؤلمة . وكانت الشكسة الأولى في القرن العاشر عندما انقلب ميزان القوى بين الشرق والغرب . إذ أخذت أوروبا ، بشقيها الشرقي والغربي ، تستعيد من قوتها ، وتفيق من الضربات التي وجهها العرب إليها .

بينما انتاب العالم العربي بعض الضعف والوهن ، بسبب الانحلال السياسي الذي دب في أوصال الدولة العباسية شرقا ، وفي القوى العربية غربي البحر المتوسط .

وكان لهذا الانقلاب في القوى ، ولتغير مركز الثقل بين أوروبا والعالم العربي في العصر الاسلامي ، آثاره الوخيمة على العرب وحدودهم المتصلة بكل من الروم واللاتين . إذ تمكنت دولة الروم من الاستيلاء على بعض المدن في آسيا الصغرى وشمال الشام ، وكان ذلك في عهد الأسرة المقدونية . كما استطاع النورمان الاستيلاء على جنوبي إيطاليا وعلى صقلية . وأحرز الغربيون أيضا عدة انتصارات في اسبانيا ، أهمها استيلاؤهم على طليطلة سنة ١٠٨٥ ^(٣) .

(١) H. Pirenne, *Economic and Social History of Medieval Europe*, (١) London, 1961, 2-3; idem, *Medieval Cities*, English Trans. by F. D. Halsey, Princeton, 1948, 15 - 16.

LaMonte, op. cit., 3 - 4.

(٢)

LaMonte, op. cit.; 275 ff.; Lot, op. cit., 31 f., 285 ff.; Painter, (٣)

op. cit., 193 ff., 197 ff.

فوكاس واسترجاع الأراضي المقدسة (٩٦٣ - ٩٦٩ م) - الاسكندرية

١٩٥٩ - ص ٨ وما بعدها ، سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية -

ج ١ - القاهرة ١٩٦٣ - ص ٥٦ وما بعدها .

وكان هذا الانحسار التدريجي في القوى العربية في شرق البحر الأبيض المتوسط وغربيه نتيجة لضعفهم وتفككهم وقتذاك . وهذه ظاهرة دورية في تاريخ العرب في العصر الإسلامي ، وحتى العصر الحديث .

لقد خرج العرب من هذه التجربة القاسية التي امتدت من القرن العاشر حتى قيام الحركة الصليبية بدرس أفادهم فيما بعد . إذ أوضحت أن انقسام العرب هياً للروم واللاتين فرصة الانقضاض على دولتهم والتهام جانب كبير منها . وكان من أول نتائجها أن استهان الروم وأهل الغرب بالعرب ، واتخذوا حيالهم سياسة هجومية ، في حين التزم هؤلاء بجانب الدافع عن أنفسهم وعن دولتهم بشكل عام .

الحركة الصليبية عدوان استعماري

في غمرة هذه الأحداث التي أملت بالعالم العربي في فترة ضعفه وتفككه ، خرجت من أوروبا في أواخر القرن الحادى عشر دعوة عدوانية تعارف المؤرخون على تسميتها بالحركة الصليبية . ولقد بدأت هذه الحركة رسميا عندما أعلن أحد بابوات روما ، وهو اربان الثانى ^(١) ، مولدها رسميا في خطبة ألقاها في مؤتمر كليرمون الكنسى بفرنسا في نوفمبر سنة ١٠٩٥ ، ودعا فيها أهل الغرب إلى حمل الصليب للاستيلاء على الأراضى المقدسة ، وتأسيس مستعمرات لاتينية لهم هناك . وقد حفظ لنا نص الخطبة المذكورة التي تقطر بالجد والكراهية ضد العرب والاسلام كثير من المؤرخين اللاتين الذين عاصروا أحداث تلك الفترة من الزمن ، وعلى رأسهم فوشيه دى شارتر Foucher de Chartres ، وبودرى دى بورجى Baudri de Bourgueil ، وجيبرت دى نوجان Guibert de Nogent ^(٢) . وتروى المراجع أن المحتشدين لسماع خطاب البابا صاحوا بعد سماعه صيحتهم المشهورة « هذه هي إرادة الله » ، وسرعان ما حملوا شارة الصليب شعارا لهم . ومن هنا اضطغت الحركة بالصبغة الدينية ، حتى أن أحد الكتاب الغربيين القدامى من شاهدوا

(١) عن اربان الثانى ودوره في الحركة الصليبية ، أنظر جوزيف نعيم يوسف «الدافع الشخصى في قيام الحركة الصليبية» - مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - الاسكندرية ١٩٦٣ - ص ١٩٨ - ٢٠٥ .

(٢) Foucher de Chartres, R.H.C.-H.Occ., III, Paris, 1866, 323-4;

Baudri de Bourgueil, R.H.C.-H.Occ., IV, Paris, 1879, 12-5; Guibert de Nogent , R.H.C.-H.Occ., IV, 137-40.

مولدها، وهو روبرت الراهب Robert le Moine قال إنها كانت من عمل الله وليست من عمل الانسان (١) . وايده في ذلك أحد كتابهم المحدثين، وهو الكونت بول ريان Paul Riant ، عندما قال بأنها حروب دينية خالصة ، وأن دوافعها واتجاهاتها دينية بحتة ، رهدفها الأول والأخير تخليص فلسطين وكنيسة القيامة من أيدي العرب (٢) .

ولكن أحدث البحوث التاريخية ، البعيدة عن الميل والهوى ، أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن الحركة الصليبية لم تكن من صنع الله ولكنها كانت من صنع الانسان ، وأنها كانت تهدف منذ البداية إلى التوسع والاستعمار تحت قناع من الدهاية الدينية ، وأن غرضها الحقيقي هو الاستيلاء بالقوة المسلحة على فلسطين ، وتأسيس مستعمرات لا تمييز بها ، ثم العمل على تعزيز هذه المستعمرات وتوسيع حدودها والمحافظة عليها بشتى الطرق والوسائل ، حتى تكون رأس جسر لأهل الغرب اللاتينى يستخدمونه لتفتيت وحدة العالم العربى وكسر شوكتهم ضمانا لبقاء نفوذهم فى المنطقة (٣) .

وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الغربيين المحدثين الذين اشتهروا بتعصبهم لبني جنسهم ، والذين نظروا إلى الحركة الصليبية من وجهة نظر غربية بحتة ، قد أعترفوا ضمنا أو صراحة بحقيقة اتجاهات تلك الحركة . ومن هؤلاء

Robert le Moine, R.H.C. - H.Occ., III, 123. (١)

P. Riant, Inventaire critique des lettres historiques des croisades, A.O.L., I, Paris 1881, 2. (٢)

(٣) تناولت ذلك بالتفصيل فى كتاب العرب واللاتين فى الحرب

الصليبية الأولى - الاسكندرية ١٩٦٣ - ص ٥١ - ٩١ .

المؤرخ الفرنسى رينيه جروسليه R. Grousset الذى قال فى كتابه « خلاصة التاريخ » ان الحروب الصليبية أدت إلى أول توسع استعماري للغرب المسيحي في الشرق العربى (١) . بينما قال زميله جورج تريفيليان G. Trevelyan الانجليزى فى كتابه « مختصر تاريخ إنجلترا » ، ان الحركة الصليبية هى حركة اتساع خارجى قامت بها أوروبا المسيحية الاقطاعية ضد العرب (٢) . أما الاستاذ برنارد لويس B. Lewis فقد أوضح فى كتابه « العرب فى التاريخ » ، أن تلك الحروب كانت أول محاولة مبكرة فى التوسع الاستعماري للغرب ، تحركها اعتبارات مادية دنيوية ، ويغلفها الدين كعامل نفسانى (٣) . ويتحدث المؤرخ المعروف هنرى وليم كارلس ديفز فى كتابه « أوروبا فى العصور الوسطى » عن الحروب الصليبية تحت عنوان « الاستعمار الأوروبى (٤) » .

ويزيد ديفز الأمر وضوحاً فيقول : « وكثيراً ما كان يتجهل الباعث الدينى بقصد القاء فتنة خفيف من الاحترام على العمليات الحربية ، ولولا هذا القناع لكان من العسير تبرير الحرب » . وفى موضع آخر يقول انه كلما ازداد اقتراب زعماء الحملة الأولى من الأراضى المقدسة « كلما ازداد وضوحاً أن انقاذهم للكنيسة المقدسة ليس إلا اعتباراً ثانوياً » . ويستمر قائلاً بأن الشغل الشاغل للحكام اللاتين فى المائتين سنة التى اعقبت تأسيس المستعمرات الأربعة

(١) R. Grousset, The Sum of History, Oxford, 1951, 182.

G. Trevelyan, A Shortened History of England, Aylesbury, (٢)

1960, 141.

B. Lewis, The Arabs in History, London, 1958, 140. (٣)

(٤) ديفز (هـ. و. ل.) : أوروبا فى العصور الوسطى - ترجمة الدكتور

عبد الحميد حمدى محمود - الاسكندرية ١٩٥٨ - ص ١٧٨ .

في الأرض المقدسة هو « توسيع حدود تلك المستعمرات وتدعيمها تحت تاج بيت المقدس » .^(١)

هذه شهادة عدد من الكتاب الغربيين الحديثين عن حقيقة اتجاهات الحركة الصليبية. ومن حسن الحظ أنه ظهر في المكتبة العربية في السنوات الأخيرة العديد من الكتب والبحوث الجادة الواعية التي تناولت تلك الحركة أو أحد فصولها تناولاً يتسم بالدقة والأمانة العلمية ، فأماطت اللثام عن دوافعها الحقيقية. يقول الدكتور جمال الدين الشيال^(٢) ان الحملة الصليبية الأولى وما تلاها من حملات انما « تمثل المرحلة الأولى من مراحل الاستعمار الأوربي لمنطقة الشرق الأدنى العربي وهي انما لبست مسوح الدين واتخذت شارة الصليب لأن العصر كان عصر تزمت ديني » . ويعزز هذا الرأي قول الدكتور محمد مصطفى زيادة^(٣) من ان « الحركة الصليبية دلت على اتجاهات توسعية نائية جغرافياً عن فلسطين وان زعماء الصليبيين ، حتى الأولين منهم ، لم يكن غرضهم جميعاً خدمة الدين فحسب » . وجاء في مقدمة الدكتور حسن حبشي^(٤)

(١) ديفز : نفس المرجع السابق - ص ١٨٣ و ١٩٥ و ١٩٦ . وفي ص ١٨٨ من المرجع نفسه يوضح ديفز كذلك أن النزعة خلال الصراع بين المسلمين والمسيحيين في أسبانيا كانت لا تزال نزعة نحو المطامح المادية للفوز بالسلطة واثراع ولايات جديدة من المسلمين .

(٢) جمال الدين الشيال « وحدة مصر وسورية في العصر الاسلامي » - المحاضرة الثانية من المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية في العام الجامعي ١٩٥٨/٥٧ - الاسكندرية ١٩٥٨ - ص ٦ .

(٣) محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة - القاهرة ١٩٦١ - ص ٤ - ٥ .

(٤) كلاري (ر .) : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين - ترجمة الدكتور حسن حبشي - القاهرة ١٩٦٤ - ص ٥ .

لترجمة العربية لمذكرات روبرت كلاري عن الحملة الرابعة، أن التاريخ لا يعرف « حرباً شنها الغرب الأوربي تحت ستار الدين ثم كشف القناع عن حقيقة طواياه الاستعمارية مثل الحرب التي خرجت فيها أوربة عام ١٢٠٢ م بحجة انقراض المسيحية واستخلاص بيت المقدس ومحاربة مصر، ثم غيرت الحملة اتجاهها منذ البداية وأسفرت عن وجهها، فهاجمت امبراطورية الشرق النصرانية وهي الامبراطورية البيزنطية. » ويزيد فيليب حتى ^(١) الأمر وضوحاً فيقول في كتابه « تاريخ العرب » انه ليس كل الذين حملوا الصليبي كانت تدفعهم اعتبارات دينية. فكثيرون أمثال بوهيمند كانوا يطمعون في تأسيس امارات لهم هناك. كما كان لتجار بيزا والبندقية وجنوه مصالح تجارية يسعون الى تحقيقها. فضلاً عن فئات عديدة من المغامرين واللصوص والقتلة والمجرمين وقطاع الطرق والخارجين على القانون

Hitti, op. cit., 636.

(١)

وقد تعرض لهذه المسألة أحد الكتاب الغربيين القدامى، ويدعى أرنولد أوف ليبك، عندما ذكر في حوليته التي كتبها في بداية القرن الثالث عشر، والتي تشغل الفترة من سنة ١١٧٢ الى سنة ١٢٠٩، ان الصليبيين لم يشتركوا في تلك الحملات بسبب الحافز الديني، ولكن رغبة في الربح والكسب والاثراء: أنظر A. H. Hamdy, « The Western Attitude to Islam as Viewed by Arnold of Lübeck, » Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University, Vol. X, Alexandria, 1956, 80 في كتابها عن تاريخ حياة أبيها الامبراطور الكسيس كومنين، عن حقيقة دوافع العدوان الصليبي عندما أشارت إلى أطماع اللاتين وجشعهم وحبهم الزائد للمال، واستغلالهم العامل الديني كستار لتحقيق أغراضهم ومآربهم: أنظر

Anna Comnena, The Alexiad, English Trans. by Elizabeth Dawes, London, 1928, 248, 250, 252. ويكشف خطاب الكسيس كومنين الذي أرسله الى روبرت الأول أمير الأراضى الواطئة حوالى عام ١٠٨٨، والذي يقال إنه كان من الأسباب التي أدت إلى قيام الحركة الصليبية - يكشف =

وطغام الشعوب وأرقاء الأرض، ممن قدموا من مختلف بلدان الغرب مدفوعين بعوامل شتى أهبطها السيطرة والأطماع والسباب والنهب وأفلها بلا شك العامل الدينى . وهكذا ، تحت ستار الدين قامت جيحافل الصليبيين من أوروبا متجهة صوب الشرق الأدنى العربى . وفى سنوات قلائل أحرزت عدة انتصارات سريعة لم تكن تحلم بها فى يوم ما . فلقد تمكن الصليبيون فى الفترة من مايو ١٠٩٧ الى يونيو ١٠٩٨ من القضاء على سلطنة السلاجقة فى آسيا الصغرى وشمال الشام ، ومن تأسيس أول مستعمرتين لهما ، ونعنى بهما امارة الرها فى أعلى الفرات و امارة انطاكية فى أعلى الشام . وتم هذا كله فى حوالى عام^(١) . ولنا أن ننساءل عن السر فى هذا التقدم السريع الذى أحرزه الأوروبيون ، وهل يرجع الى صفات خاصة تميزوا بها دون العرب والسلاجقة ، كالجرأة أو الاستبسال فى القتال حتى الموت والاستشهاد . يجيب عن هذا السؤال المؤرخ شارل أومان Ch. Oman فى كتابه « فن الحرب والقتال فى العصور الوسطى » فيقول ان القوات الصليبية كانت ضعيفة من الناحية العسكرية ، كما كان ينقصها النظام وحسن الإسداد والترتيب والالمام الكافى بالتكتيكات الحربية السليمة ، وانها كانت تتكون من جيوش اقطاعية متفرقة لاتجتمع بينها قيادة موحدة يدين لها الجميع بالولاء . ومع ذلك فقد أحرزت انتصارات كبيرة على قوات كانت تفوقها اعدادا وترتبا وتنظيما وتدريباً . وان الحقيقة التى

هذا الخطاب عن مدى استغلال النعرة الدينية لاثارة أوروبا الغربية فى حرب عداية ضد المسلمين فى الشرق . أنظر نص الخطاب فى H. Hagenmeyer, *Epistolae et chartae ad historiam primi belli sacri spectantes*, 129 ff. 1901. راجع أيضا المناقشات حول الخطاب المذكور فى مقال « الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية » - ص ١٨٨ - ١٩٥ .

(١) أنظر عن ذلك Matthieu d'Edesse, *Extraits de la Chronique de Matt. d'Edesse*, R. H. G.-Doc. Arm., t. I, Paris, 1869, 37-38; Foucher de Chartres, R. H. G.-H. Occ., III, 496-7.

تكمن وراء تلك الانتصارات لدى أعرق من ذلك بكثير . قهى ترجع أولا وقبل كل شىء الى انقسام العرب والسلاجقة على انفسهم وقتذاك (١) .

كانت هذه احدى مراحل الهزيمة التى نزلت بالشرق الأدنى العربى فى عصر من عصور الضعف التى مر بها عند بداية العدوان الصليبي ، وهى استمرار للحالة التى كان عليها اعتبارا من القرن العاشر ، وقد ترتبت عليها أسوأ العواقب وأوخمها . فقد كان الخلاف مستحكما بين ملوك العرب وامرائهم . ففى مصر خلافة الفاطميين الشيعية على غير وفاق مع خلافة العباسيين السنية فى بغداد ، وقد دب فى كيانهما الانحلال والهزال . فالضعف باد ، والانقسام بينها سياسى ودينى ، والتناحر على أشده . وهكذا كان كلا الفريقين آخذًا فى التدهور ، بينما القبائل التركمانية ، ومن بينها السلاجقة ، تختطف من أملاك الفاطميين والعباسيين على السواء ما يمكن اختطافه من الاقاليم ، كما حدث مثلا عند استيلائهم على بلاد الشام من الفاطميين . وحتى سلطنة السلاجقة كانت هى الأخرى قد انقسمت إلى دويلات صغرى يحكم كل منها أمير مثلبا حدث فى أنطاكية وحلب ودمشق (٢) . ويؤكد هذا الوضع أحد المؤرخين العرب من

(١) Ch. Oman, A History of the Art of War in the Middle Ages, I, London, 1924, 233. أنظر أيضا عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٦ - ص ١٥٢ .

(٢) Cf. Grousset , Sum of Hist., 17:—4; idem, Histoire des Crois., Vol. I, Paris, 1918, pp. VI—VIII, XLVIII—LVIII; Runciman, op. cit., I, 75—8; K M. Setton (ed.), A History of the Crusades, I, Philadelphia, 1958, 96—7; W. Stevenson, The Crusaders in the East, = Cambridge, 1907, 19—20; Hitti, op. cit., 633—5.

عاصروا بدايات العدوان الصليبي وكتبوا عنها ، وهو ابن القلانسي ، إذ ذكر أنه لو كان صاحبها حلب ودمشق قد اتفقا وقتذاك لألحقا بالعد الدخيل شر هزيمة ، ولحالا بينه وبين التوغل في آسيا الصغرى وسورية الشمالية ، ولكنها ، بالرغم من الخطر الداهم الذي كان يهددها ، وبدلاً من الاتحاد لمواجهة هذا العدو المشترك ، لم يبذلوا مجهوداً إيجابياً في سبيل وقف تقدمه في الشرق العربي ^(١) .

يحدث كل هذا والعدو الفرنجي واقف يتربص بالعرب الدوائر ، وهو مغتبط أشد الاغتياب لهذا الانقسام الواضح في صفوفهم ، وكان هذا غاية ما يتمناه . وإذن ، لا عجب إذا كانت هذه حال العرب في الشرق من أن ينتصر عليهم الصليبيون . ولا عجب أيضاً أن يتم هذا كله في سنوات معدودات .

= وللمزيد من المعلومات عن الانحلال السياسي والتدهور الاقتصادي في أواخر عهد الخلافة الفاطمية ، أنظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ - مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية - المؤرخون الشرقيون - ج ١ - باريس ١٨٧٢ - ص ٥٥٠ ، المقرئ : اتعاط الحننا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٤٨ - ص ٢٨٠ و ٢٨٣ ، المقرئ : كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة - نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٤٠ - ص ١٨ - ٢٧ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر - ج ٣ - آستانة ١٢٨٦ هـ - ص ٤٠ - ٤٢ ، راجع أيضاً جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية - ج ١ - وثائق الخلافة والوزارة - الاسكندرية ١٩٦٥ - ص ٢٧ وما يابها .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ - ص ١٣٤ - ١٣٥ .

بربرية الفرنج وتحضر العرب

على أية حال ، بعد أن فرغ الصليبيون من تأسيس أول مستعمرتين لهبافى الشرق واصلوا الزحف إلى بيت المقدس الذى بلغوه فى أوائل يونيو من عام ١٠٩٩ ، وكان اذ ذاك فى حوزة الفاطميين^(١). وكما سقطت مدن آسيا الصغرى وسورية الشمالية فى قبضة الأوربيين الغربيين ، سقط بيت المقدس بعد حصار استمر حوالى أربعين يوما. ومما تجدر الإشارة اليه هنا، أنه بعد أن دخل الأوربيون المدينة المقدسة أخذوا يتعقبون الأهالى العزل الآمنين الذين وجدوا أنفسهم وقد أحاط بهم العدو من كل جانب، فلقوا إلى قبة الصخرة والمسجد الأقصى للاعتصام بها من بطش الفرنج وغدرهم، اعتقادا منهم أنه مها بلغ تعطش أولئك القوم لسفك الدماء ، فان يجروا على اقتحام الأماكن المقدسة واثبات المنكر فيها . ولكن الفرنج - كعادتهم دائما - لم يرعوا حرمة بيوت الله ، فأخذوا يعملون فيهم سيوفهم دون رحمة أو هوادة ، ودون مراعاة لعامل السن أو الجنس ، حتى سالت الدماء أنهارا، وخاض فيها الغزاة إلى ركبهم . وهذه القذائع أيدها وشهد بها اثنان من مؤرخيهم ممن حضروا المذبحة ، وهما ريمون داجيل Raimond d'Agiles ، والبرت دكس Albert d'Aix^(٢).

(١) حول استيلاء الفاطميين على البيت المقدس من السلاجقة قبيل الحملة الأولى ، أنظر ابن القلانسي : نفس المرجع - ص ١٣٥ ؛ ابن الوردي : تنمة المختصر فى أخبار البشر - ج ٢ - القاهرة ١٢٨٥ هـ - ص ١١ .

(٢) Raimond d'Agiles, R.H.C.-H.Occ., III, Paris, 1866, 291 ff.; (٢) Albert d'Aix, R. H. C. — H.Occ., IV, Paris, 1879, 470 ff. هذا وقد تحدثت أنا كومتينا ابنة الامبراطور الكسيس كومنين بإسهاب عن وحشية =

وقد أمدنا الكتاب العرب ، وبخاصة ابن القلانسي ، وأبو الفداء ، وابن الوردى ، وابن كثير ، والمقرئى ، وابن العماد الكاتب ، بالعديد من الأمثلة الدالة على وحشية أولئك القوم وتعصبتهم وقسوتهم أيام العدوان الصليبي^(١).

ولم يكف المغبرون بذلك ، بل رفعوا القناع عن وجوههم ، وكشفوا عن حقدهم الدفين على العروبة والاسلام ، وذلك عندما حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة لاتينية سموها «معبد السيد» Templum Domini . كما استخدموا المسجد الأقصى لمصالحهم ، وأطلقوا عليه باللاتينية اسم «معبد سليمان» Templum Solomonis^(٢).

ويلاحظ أن هذه كانت نفس السياسة التي سار عليها الصليبيون بصفة عامة

= أولئك القوم ، عندما تعرضت للحملة الشعبية التي سبقت الحملة النظامية المعروفة بالحملة الصليبية الأولى : أنظر عن ذلك Anna Comnena, The Alexiad, 231 وفيما يتعلق بالاستيلاء على بيت المقدس أنظر ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق - ص ١٣٦ وما بعدها . كما تناسول الدكتور حسن حبشي تفاصيل المعركة في كتابه « الحرب الصليبية الأولى » - القاهرة ١٩٤٧ - ص ٨١ وما بعدها : أنظر أيضا (Grousset, Hist. des Crois., I, 153 - 163; Runciman, op. cit., I, 27.) - 288.

(١) أنظر عن ذلك ابن القلانسي: نفس المرجع - ص ١٣٦ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر - ج ٣ - ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ ابن الوردى : تسمية المختصر في أخبار البشر - ج ٢ - ص ١٣٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ - ج ١٣ - القاهرة ١٣٥٨ هـ - ص ٨٣ - ٨٤ ؛ المقرئى : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار - ج ١ - القاهرة ١٢٧٠ هـ - ص ٢١٢ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ج ٥ - القاهرة ١٣٥١ هـ - ص ٦٦ .
(٢) أنظر عارف باشا العارف : تاريخ القدس - القاهرة ١٩٥١ - ص

فى جميع حملاتهم العدوانية ضد العرب . فعندما أغاروا على دمياط سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨م) فى عهد الملك الكامل شمد ، أحالوا مسجد المدينة العظيم الى كنيسة لاثينية كاثوليكية ، وعملوا على تثبيت شعائرهم بها . كما أبطوا الطقوس التى جرى عليها المسيحيون الشرقيون ، وأحلوا محلها طقوسهم . وهذا هو نفس ما فعلوه عندما أغاروا على المدينة بعد ذلك التاريخ بثلاثين سنة فى عهد الصالح نجم الدين أيوب^(١) . فقد كان العرب فى نظرهم - مسلمون أو مسيحيون شرقيون - هراطقة لأنهم على غير مذهبهم . ولقد بذلوا قصارى جهدهم لصيغ الشرق الأدنى العربى بصيغة كاثوليكية بحتة ، مما يكشف عن أحد دوافع الحركة الصليبية . ويؤكد هذا الاتجاه المؤرخ الغربى ارنست باركر E. Barker ، عندما ذكر فى كتابه « الحروب الصليبية » أن الكنيسة اللاتينية كانت تطمع فى نشر الكاثوليكية فى جميع أنحاء العالم العربى المعروف وقتذاك ، ولو أدى ذلك الى القتال المسلح^(٢) . كما أوضح الدكتور عبد الحميد حمدى محمود فى دراسته التحليلية عن فيليب دى مزيير وهيئة فرسان آلام المسيح التى دعا الى انشائها فى أواخر القرن الرابع عشر ، أن من بين أهداف هذه الهيئة العمل على نشر العقيدة

(١) راجع عن ذلك السيوطى : حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة - ج ٢ - القاهرة ١٣٢٧ هـ - ص ٢٨ ؛ أبو القداء : المختصر - ج ٣ - ص ١٢٨ ؛ ابن الوردى . تمة المختصر - ج ٢ - ص ١٣٧ . ومن المصادر الأجنبية ، راجع : Rothelin, Guillaume de Tyr dite du manuscrit de Rothelin, R.H.C. - H.Occ., II, Paris, 1859, 594; Joinville, Histoire de Saint Louis, Paris, 1874, 98; cf. also Grousset, Hist. des Crois., III, 444.

(٢) أنظر باركر (ارنست) : الحروب الصليبية - ترجمة الدكتور السيد الباز العرنى - القاهرة ١٩٦٠ - ص ٩ .

الكاثوليكية في الأراضي الإسلامية^(١). وغير خاف أن فترات الضعف والتفكك التي ألمت بالعرب ، قد ساعدت أولئك القوم على التماذى في تحقيق أطماعهم ، وفي ارتكاب تلك الشرور والآثام .

وجدير بالذكر في هذا المقام انه كان يقابل مظاهر الوحشية والقسوة والغدر والتعصب التي تميز بها العدوان الصليبي على المشرق العربي ، صورة أخرى مخالفة تمام الاختلاف ، ونعني بذلك سماحة العرب ووفاءهم بالعهد وكرمهم ونبيل اخلاقهم وانسانيتهم . ومصادر الحركة الصليبية ، من عربية وغير عربية ، غنية بالأمثلة الدالة على ذلك . نذكر منها على سبيل التمثيل المعاملة الانسانية الكريمة التي عامل بها صلاح الدين الايوبي سكان بيت المقدس من الفرنج بعد سقوط المدينة في قبضته سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧) .^(٢) وكذلك حسن معاملة المصريين لاسيرهم الملك الفرنسي لويس التاسع عندما وقع في

A. H. Hamdy, " Philippe de Mézières and the New Order of (١) the Passion, " Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University, Part I, Vol. XVII, Alexandria 1964, 56; Part II, Vol. XVIII, 1964, 12.

(٢) Runciman, Hist. of the Crusades, II, 466 - ونجد أمثلة عديدة على حلم صلاح الدين وعفوه ومروءته في كتاب ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤ - ص ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ١٥٨ و ١٥٩ . أنظر أيضا جمال الدين الشيال : وحدة مصر وسورية - ص ٢٠ و ٢٣ . وللمزيد من المعلومات عن سماحة العرب وتحضرهم ، أنظر A.H. Hamdy, " The Western Attitude to Islam," 81 - 82, 84.

قبضتهم في أواسط القرن السابع الهجرى (أواسط القرن الثالث عشر الميلادى) (١) .

وعلى أية حال ، فقد انتهى الامر بوقوع فلسطين في قبضة الغربيين في منتصف يوليو من عام ١٠٩٩ ، بعد أن ظلت في أيدي العرب أكثر من أربعة قرون ونصف . وبذلك تحققت للفرنج احلام كانت تداعب خيالهم في يوم ما . وأسسوا مستعمراتهم الصليبية في تلك الأرض العربية ، وجعلوا على رأسها أحد زعمائهم الذى قسمها إلى امارات اقطاعية وزعها بين زملائه من القادة اللاتين ، مستغلين في ذلك فرصة تفكك العرب وانقسامهم . وفي ذلك يقول المؤرخ مارشال بلدوين M. Baldwin ، انه على ضوء تجارب الغرب المعروفة في التوسع والاستعمار ، يمكن اعتبار المستعمرات الصليبية التى تم تأسيسها في شرقى البحر المتوسط ، هى الفصل الأول في تاريخ أوروبا الطويل فيما وراء البحار (٢) .

(١) قال الكتبى في مؤلفه « عيون التواريخ » - ج ٢٠ - لوحة ٢٥ - نسخة بالتصوير الشمسى بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ ، ان السلطان المعظم توران شاه بن الصالح ايوب أكرم أسيره الملك لويس ، وأقام عنده من يقوم بخدمته ، كما رتب له كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب . راجع ايضا ابن العماد : شذرات الذهب - ج ٥ - ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ - القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ - ص ٣٦٦ .

M. W. Baldwin, The Mediaeval Church, New York, 1960, 031. (٢)

هكذا انتهى الدور الأول من الكفاح بين العرب واللاتين ، بانتصار ساحق للقوات المعتدية أحرزته في بضع سنوات . ولتتمتع قليلا في أحداث هذا الدور تاركين تفصيلاته ومعاركه . لقد تميز - كما رأينا - برجحان كفة الصليبيين الدخلاء على العرب أصحاب البلاد . وتم هذا في وقت كان فيه الشرق الأدنى العربي منقسما على نفسه مما أعجزه عن مواجهة العدوان الغربي ، وما هيا لأوروبيين فرصة تحقيق اتجاهاتهم التوسعية في المنطقة ، بعد أن اتخذوا الدين قناعا لنشاطهم المعادي للعرب والاسلام .

توازن القوى بين العرب والفرنج

ليس من العسير أن ندرك أن أهل الغرب كانوا يعلمون تماما ، وهند اللحظة الأولى ، أنه بوسع العرب في مصر وبلاد الشام ، إذا اتحدت جهودهم وانفقت كلتهم وتكتلت قواهم ، في صدق واخلاص ، أن يدفعوا عنهم الخطر الصليبي ، وأن يفلحوا في القضاء على الفرنج بشق السبل . ثم أن العرب أنفسهم لم ينسوا أن ملحقهم من خسارة ، وما أحرزه أولئك الأجانب من مكاسب خاطفة في بداية حركتهم ، إنما كان - في الدرجة الأولى - بسبب ضعف القوى العربية وانقسامها وتفتتها . وكانوا يدركون جيدا أنهم كلما اتحدوا ، كان ذلك بشيرا بحركة يقظة وفاقية ، تعقبها حملات مضادة على الغزاة واماوتهم في الشرق . ففي اتحادهم قوة ، وفي قوتهم قضاء أكيد على اللاتين وعلى كل أثر لهم . بينما في انقسامهم ضعف ، وفي ضعفهم خذلان لهم ، وتمكين لنفوذ أعدائهم في المنطقة (١) .

لقد انصرف الحكام العرب بسبب المنازعات والحروب التي قامت بينهم عن الجهاد ضد الغزاة القادمين من الغرب . وغير خاف أنه لو كان قد قدر لهم الاتحاد عند قيام الحرب الصليبية الأولى ، ولو كانوا قد نبذوا أسباب الفرقة والتحلاف ، لما تمكن اللاتين إطلاقا من احراز أى نصر عسكري أو سياسي في فلسطين ، ولتضى العرب عليهم قبل أن يصلوا إليها وبقيموا مستعمراتهم

(١) تناول الدكتور حسن حبشى في مؤلفه « نور الدين والصليبيون » - القاهرة ١٩٤٨ ، بالبحث والدراسة والتحليل حركة الافاقية والتجمع الاسلامي في القرن السادس الهجرى (القرن الثانى عشر الميلادى) .

بها . ولو قدر لهم الاتحاد عندما حل الصليبيون بأراضيهم ، ونسوا ما بينهم من خلافات ، وغلبوا الصالح العربي العام على المصالح الشخصية ، لما أتاحوا للدخلاء فرصة العمل على تثبيت دعائم دولتهم ، ولا استطاعوا أن يحفظوا فلسطين من عبث الطارق الدخيل .

ومع ذلك ، فبالرغم من هذا النجاح المصطنع الخاطف الذي حققه الفرنج ، فإننا نلمس بوضوح أن مجتمعم الاقطاعي^(١) الذي أقاموه بالشرق بدأ متداعيا متهاكاً منهزماً ، ولم تتوافر فيه مقومات الدولة بالمعنى المفهوم من هذا الاصطلاح . لقد ولد المجتمع الصليبي ضعيفاً هزئلاً لا يقوى على الوقوف على قدميه ، ولم توجد فيه سمات الأمم والحكومات ، كالآداب والعرف والتقاليد والجيش القوي أو الثروة العامة ورءوس الأموال النامية . ولذلك ظل هذا المجتمع الغريب عرضة للتقلبات والهزات والأزمات العتيقة ، ونهباً للكوارث والويلات التي كانت تحل به بين الحين والحين . لقد كانت عوامل الضعف تنخر كالسوس في مستعمرات اللاتين بالشرق الأدنى منذ اليوم الأول ، نذكر منها ضالة مواردهم المالية ، وقلة المحاربين الذين كانوا تحت امرتهم ، وتنضارب مصالحهم ، وتباين أهوائهم ، واختلاف أجناسهم ، وانحلالهم الخلقي ، وفتور

(١) حول الحكم الاقطاعي الصليبي في الأراضي المقدسة ، أنظر كوبلاندي (ج. و.) وفينو جرادوف (ب) : الاقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا - ترجمة الدكتور محمد مصطفى زياده - القاهرة ١٩٥٨ - ص ٢٤-٢٥ . وللمزيد من التفاصيل عن مفهوم الدولة في المجتمع الغربي الوسيط ، أنظر هارتمان (ل. م.) وباراكلاف (ج) : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى - ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف - الاسكندرية ١٩٦٦ - ص ١٠٣ - ١٢١ .

الحماس الدينى عندهم بشكل ملحوظ . فضلا عن الخلاف والمنازعات المستمرة بين الفرنج الجدد الوافدين من الغرب والفرنج القدامى الذين استوطنوا فى الشرق ، حول المصالح الخاصة وامتلاك الأراضى . وأخيراً يجب ألا ننسى أن العداوة كانت قائمة بين الحاكمين والمحكومين . لقد شعر أولئك الدخلاء بأنهم يعيشون بين أصحاب الحق الشرعى الذين يتطلعون إلى اليوم الذى تتحد فيه صفوفهم ، توطئة لتوجيه ضربتهم القاضية ، واسترداد أراضيتهم المسلوبة (١) .

وكان يقابل هذا التدهور التدريجى فى امارات الصليبيين ، شعور الشعوب العربية فى المنطقة أن وجود تلك الامارات بين ظهرانيها ، أصبح يشكل خطراً جسيماً يجب عليها المبادرة باستئصاله قبل أن يستفحل ويسرى فى بقية أجزاء العالم العربى . وقد أدرك العرب أن كل يوم يمر دون توحيد جبهتهم الداخلية وتقويتها ، فيه خسارة محققة ، وفيه تعويق وتأخير لعملية الجهاد الأكبر .

وشاءت الظروف السيئة الا يظهر على المسرح وقتذاك زعيم يستطيع تكوين جبهة عربية قوية متحدة ضد أولئك القوم . وكان الفرنج يواجهون فى هذه الفترة المبكرة أمراء متفرقين متخاصمين حسب أسلفنا . فاستغلوا هذه الظروف

(١) أشار إلى ذلك بالتفصيل والتحليل كل من رينيه جروسيه فى الجزء الثانى من موسوعته عن الحروب الصليبية ، وستيفن رنسيان فى الجزء الثانى من كتابه « تاريخ الحروب الصليبية » . أنظر Grousset, Hist. des Crois., II, 24 ff., 310 ff., 609 ff.; Runciman, Hist. of the Crusades, II, 291 ff., cf. also Hamdy, "The Western Attitude to Islam," 77 - 78, 81, 81.

واعتمدوا على سياسة الايقاع والتفريق بين السلاجقة والحكام العرب تمكيناً
لنفوذهم ومصالحهم .

ومع زيادة الخطر على المشرق العربي ، بدت في الافق بوادر افاقة ويقظة
إعتباراً من السنوات الأولى من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر
الميلادي) . إذ بدأ العرب يستشعرون مدى الخطر المائل أمامهم ، وأخذوا
يعملون على توحيد صفوفهم ، ولم تشملهم لمقاومة الدخلاء وطردهم من ديارهم .
وظهرت تباعث هذه الیقظة بشكل خاص في مصر والعراق وشمال الشام ، على
هيئة وثبات عربية لم تكن قد اختمرت أو فضجت بعد في حركة واحدة
موحدة . نذكر منها تحالف صاحب حلب مع الفاطميين بمصر ضد اماره
انطاكية اللاتينية في مستهل ذلك القرن . وكذلك محاولات أتابكة الموصل
ودمشق لتكوين محور يطوق ممتلكات اللاتين في الشمال والشمال الشرقي .
وكانت هذه المحاولات الجزئية بين مد وجزر ، ولم تؤت ثمارها المرجوة لأنها
هاجت بعض معاقل الافرنج مثل إمارات الرها وطرابلس وانطاكية قبل
أن توحيد جبهتها تماماً ، الأمر الذي لم يمكنها من تحقيق النصر النهائي
وقتذاك (١) .

كل هذا أوجد حالة من التوازن بين الفريقين : العرب أصحاب الديار

(١) ابن الأثير : تاريخ الدولة الانطاكية ملوك الموصل - مجموعة مؤرخي
الحروب الصليبية - المؤرخون الشرقيون - ج ٢ - قسم ٢ - ص ٣٣ . راجع
أيضاً حسن حبشي : نور الدين والصليبيون - ص ٩ وما بعدها . ومن المصادر
الأجنبية ، أنظر Albert d'Aix, R. H. C.- H. Occ., IV, 670; Mait.
d'Édesse, Extraits, R. H. C.- Doc. Arm , I, 49-4, 96-7.

والفرنجة الدخلاء ، بحيث لم يتمكن أى منهما فى هذا الدور الثانى من الكفاح من إحراز نصر حاسم على خصمه ، وهو الدور الذى تشاؤله بشيء من الاسباب والتحليل المؤرخ رينيه جروسيه وزميله ستيفن رنسيان .

وقد وجدت عدة ظروف ساعدت الغزاة فى المحافظة على كيانهم المتداعى بالشرق الأدنى العربى آنذاك ، على الرغم من الظروف السيئة المحيطة بهم . نذكر منها سياسة بناء الاستحكامات والقلاع ، وتحصين المدن الساحلية ، واستغلالهم كل انقسام بين الحكام العرب ، والعمل على بذور الشقاق بينهم . ثم قدوم نجدات هزيلة أو جماعات قليلة العدد من الحجاج الأوربيين المساحين ، وإن كان ذلك بصفة غير منتظمة وباعداد غير كافية . يضاف إلى ذلك عامل الزواج السياسى الذى درجوا عليه للربط بين اماراتهم المتنازعة فيما بينها . وأخيرا استعانة الفرنجة بالجماعات الرهبانية العسكرية ، كالداوية والاسبتارية والتوتونية ، وباساطيل الجاليات الإيطالية التجارية فى جنوه ويزا والبندقية ، فى الاستيلاء على الموانئ العربية بالساحل الشامى ، نظير صفقات يتقاسم فيها الطرفان المكاسب والاسلاب ^(١) .

ولولا تلك الظروف لربما انتهى الأمر فى هذا الدور بتفوق العرب على الصليبيين الذين أصبحوا محاطين من الشمال والشرق والجنوب الغربى بقوات أعدائهم القوية ، التى كانت تنتظر الفرصة المواتية للقيام بدورها الإيجابى فى المنطقة . لكل هذا بات الغزاة القادمون من الغرب يعلمون تماما أنهم هالكون

(١) عمر كمال توفيق: مملكة بيت المقدس الصليبية-الاسكندرية ١٩٥٨-

ص ٧٣ - ٧٦ و ١٦٤ وما بعدها .

لأحالة ، ولم يكن أمامهم إلا أحد أمرين كلاهما مر : أما أن ينجوا بأنفسهم عن طريق البحر عائدين إلى ديارهم ، وأما أن يقذفوا فيه بواسطة قوات أعدائهم عندما يحين الوقت المناسب . وعلى أية حال ، فقد كان البحر هو المنفذ الوحيد بالنسبة لهم ، سواء رحلوا بمحض اختيارهم أو أجبروا على الرحيل .

هذا عن اللاتين ، أما العرب فلم يكن أمامهم هم أيضا في مرحلة التوازن هذه سوى سبيلين لا ثالث لهما : أما أن يسدوا على الفرنج الطريق الساحلى شرقى البحر المتوسط . ولم يكن هذا بالأمر المستطاع وقتذاك ، نظرا للقلع والموانئ التى كان الغزاة يتحصنون بها على طول الساحل . ثم أن إحراز النصر النهائى عن هذا الطريق لم يكن مضمون النتائج ، بسبب ما قد يحدث من ثغرات داخل الجبهة العربية نفسها قبل استكمال توحيدها ، قد يستغلها العدو لتحقيق أغراضه . وهناك شواهد عديدة على ذلك يمكن أن نستشفها من خلال الصراع اليومى بين الطرفين . هذا عن الحل الأول ، أما الحل الثانى فهو أن يبادر العرب بتكوين جبهة قوية متحدة من أقصى الشمال فى الشام والعراق إلى أقصى الجنوب فى مصر ، بحيث يمكنها الاطباق على مستعمرات الغزاة من جميع الجهات ، وبذلك يصبح من السهل دفعها بقوة وعنف نحو البحر حتى تنكش وتتضاءل إلى أن ينتهى الأمر بزوالها .

يقظة العرب في القرن السادس الهجري

(ق ۱۲ م)

هذا ما حدث بالفعل في الدور الثالث والأخير من العدوان الصليبي، وهو الذي أثبتت فيه اليقظة العربية وجودها وآتت ثمارها. ففيه برزت القوى العربية الفتية التي أخذت على عاتقها مهمة انمام توحيد الجبهة العربية المفككة، وإقامة دولة قوية متماسكة، يمكنها مقاومة الفرنج ودفع خطرهم. وقد تمخضت هذه الحركة. عن ظهور شخصيات عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود^(١) وصلاح الدين الأيوبي الذين عرفوا كيف يشقون طريقهم، وكيف يحشدون القوى العربية، ويشيرون الحماس وروح الجهاد في نضال عنيف ضد الفرنج. وكانت النتيجة أنهم تمكنوا في سنوات قلائل من توحيد الجبهة العربية من برقة غربا إلى الفرات شرقا، ومن الموصل وحلب شمالا إلى النوبة واليمن

Runciman, op. cit., II, 325-344, 403-435; Grousset, op. cit., (١)
 62 ff., 363 ff., 650 ff.
 الدين محمود ضد الفرنج، أنظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق - ص ٢٧٩ -
 ٢٨٠ و ٢٣٣ و ٣٣٩ - ٣٤٢؛ ابن الشحنة: الدر المنخب في تاريخ مملكة
 حلب - بيروت ١٩٠٩ - ص ٢١٩؛ ابن الاثير: اتابكة الموصل - ص ١١٨ -
 ١٢٥ و ١٩٤ و ٢٠٧ و ٢١٩ - ٢٢٤ و ٢٣٣ - ٢٣٦؛ ابن واصل: مفرج
 الكروب في اخبار بني ابوب - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال -
 ج ١ - القاهرة ١٩٥٣، وبخاصة صفحات ٧٢ - ٧٥ و ٨١ - ٨٣ و ١٢٠ -
 ١٢٥ و ١٢٧ - ١٢٨ و ١٣٤ - ١٣٦ و ١٤٣ وما بعدها. راجع أيضا
 Grégoire le Prêtre, Chronique, R. II. C. - Doc. Arm., I, Paris,
 1869, 157.

جنوباً ، في دولة واحدة لها حاكم واحد ، مركزها القاهرة ، ويعمل لها العدو ألف حساب . وبذلك تم تطويق المستعمرات الصليبية بحزام قوى من كل جانب . ولم يكن أمام الفرنج هذه المرة سوى البحر . وحق من هذه الناحية أصبح مركزهم مهدداً بالخطر ، لأن الأسطول المصري القوى كان واقفاً لهم بالمرصاد ^(١) . وقد انتابهم الخوف والفرع ، حتى لقد قال وليم الصوري الذي عاصر هذه الحقبة وشاهد أحداثها ، ان هذا التغيير الجوهرى الذى طرأ على القوى العربية قد وقع على رؤوس الغربيين وقع الصاعقة ، وكان بمثابة مصيبة كبيرة لمصالح مستعمراتهم في فلسطين ^(٢) .

لقد أصبح كل شيء معداً لتوجيه الضربة القاصمة بعد أن قضت حركة اليقظة العربية على كل أمل للغزاة في الامتداد والتوسع ، بل وفي مجرد البقاء على قيد الحياة . وجاء هذا أيام صلاح الدين الأيوبي . فبعد أن اطمأن إلى سلامة الكيان العربى الواحد ، قام بجهاده المعروف ضد الصليبيين ، والذي انتهى بهزيمتهم هزيمة ساحقة في موقعة حطين في ربيع الآخر ٥٨٣ هـ (يوليو

(١) وفي هذا يقول الدكتور جمال الدين الشيال « وقد كانت سياسة زنكى تهدف لتأليف جبهة إسلامية متحدة متكافلة ليتمكن من مناصرة الصليبيين ، ثم سار على نهجه ابنه نور الدين محمود بن زنكى ، فبذل جهوداً طيبة لتكوين الجبهة العربية الإسلامية الموحدة » و « كان (صلاح الدين) يريد أن يعمل على توحيد الشام ومصر في جبهة إسلامية واحدة تستطيع أن تقف في وجه الصليبيين وتقضى على ملكهم » . أنظر : وحدة مصر وسورية في العصر الاسلامى - ص ١٣ و ١٤ .

Guillaume de Tyr, Historia rerum in partibus transmarinis (٢)
gestarum, R. II. C. - H. Occ., I, 20, p., Paris, 1844, 895-7.

١١٨٧ م) ، وطردهم من البيت المقدس في رجب من نفس العام (اكتوبر ١١٨٧ م) (١) ، اى بعد شهر تقريبا من موقعة حطين . وبذلك اعتدل ميزان القوى في المنطقة لصالح العرب ، وانكسرت امارات الغزاة في رقعة ضيقة بالساحل الشامى . وتوالت انتصارات العرب ، وانكسرت كل الحملات التى شنّها الصليبيون منذ ذلك التاريخ . فحين قامت الحملة الصليبية الثالثة بعد تحرير القدس بعامين لاعادة غزوها ، فشلت في مهمتها . كما انتهى أمر الحملات التى تعرضت لها مصر خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر

(١) حول جهاد صلاح الدين ضد الفرنج والحملة الثالثة ، أنظر ابن شداد: النوار السلطانية والمحاسن اليوسفية - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤ - ص ٢١ - ٤١ و ٤٣ - ٤٥ و ٤٨ - ٤٩ و ٦٣ و ٦٦ و ٧٤ و ٧٥ وما بعدها؛ عماد الدين الاصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى - القاهرة ١٣٢١ هـ - ص ١٧ - ٢٥ و ٣٦ - ٤٥ و ١٤٠ - ٢٦٠ و ٣١٧ - ٣١٤ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - الجزء الثانى - القاهرة ١٩٥٧ - ص ١٤٨ وما بعدها و ١٥٧ وما بعدها و ١٨٥ وما بعدها . راجع أيضا Varian le Grand, R. H. C. - Doc. Arm., 1, Paris, 1869, 439 ; Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, tr. by M. J. Hubert, New York, 1941, 108—118, 124 ff.

والكتاب الأخير مترجم شعرا عن الفرنسية القديمة ، ويتألف من أكثر من اثنى عشر ألف بيت من الشعر ، وهو مذيّل بتعليقات وحواش قيمة بقلم الأستاذ جون لا مونت . راجع أيضا عهد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين الايوبى (القاهرة ١٩٥٨) ، ص ١٠٠ - ١٥٠ .

الميلادى) بالاخفاق والخذلان^(١). ولم يكن مصر آخر الحملات الصليبية ،
وهى التى قام بها لويس التاسع ملك فرنسا على تونس سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠م) ،
بأحسن حظا من الحملات السابقة^(٢).

هكذا اخفقت جميع الحملات التى تعرض لها العالم العربى فى العصر
الإسلامى ، بعد يقظته وفاقته ، وباتت مستعمرات اللاتين المتبقية لهم بالساحل
الشامى تنتظر مصيرها المرتقب ، واصبحت المسألة مسألة زمن فحسب . ومن
موقف القوة واصل المماليك البحرية خلال النصف الثانى من القرن السابع

(١) المقصود حملة جان دى برين صاحب عكا والملك الاسمى لبيت
المقدس فى عهد الملك الكامل محمد بين سنتى ٦١٥ و٦١٨ هـ (١٢١٨ - ١٢٢١م) ،
وحملة لويس التاسع ملك فرنسا فى عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب بين سنتى
٦٤٦ و٦٤٨ هـ (١٢٤٨ - ١٢٥٠م) . والمكتبة العربية غنية بالمؤلفات الحديثة
فى تاريخ هاتين الحملتين ، وبخاصة الحملة الثانية ، نذكر منها تأليف محمد
مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة - القاهرة
١٩٦١ ؛ حسن حبشى : الشرق العربى بين شقى الرحى «حملة القديس لويس
على مصر والشام» القاهرة ١٩٤٩ ؛ جوزيف نسيم يوسف : لويس التاسع فى
الشرق الاوسط - القاهرة ١٩٥٩ ، وهزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل -
القاهرة ١٩٦٠ . فضلا عن المراجع التى أرخت للعدوان الصليبي عامة ،
وتناولت فيما تناولته تاريخ هاتين الحملتين .

(٢) وذلك فى عهد صاحبها محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر . أنظر عن الحملة
المقرئزى : الخطط - ج ١ - ص ٢٢٣ ؛ والساوك - ج ١ - قسم ٢ - ص
٣٦٤ - ٣٦٥ و ٥٠٢ و ٥٩٠ . وكذلك : Joinville, op. cit., 404 ff.;
Eracles, L'Estoire de Eracles Empereur, R. H. C. - H. Occ., II,
Paris, 1859, 458 ff.

المهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وكان قد استتب لهم الامر في مصر والشام ، مهمة طرد الفرنج من الشريط الضيق بالساحل الشامى . فاستولى الظاهر بيبرس على انطاكية في رمضان ٦٦٦ هـ (مايو ١٢٦٨ م) ، بينما وقعت طرابلس في يد المنصور سيف الدين قلاوون في ربيع الآخر سنة ٦٨٨ هـ (ابريل ١٢٨٩ م) . وفي جمادى الأولى سنة ٦٩٠ هـ (مايو ١٢٩١ م) استولى الاشرف خليل على عكا آخر معاقلهم الهامة بالاراضى المقدسة . وفي نفس السنة تم تصفية باقى الجيوب الصليبية فى فلسطين ، عندما طردهم المسلمون من بيروت وصيدا وصور وحيفا ^(١) . وبذلك انهار سلطان الفرنج تماما فى منطقة الشرق الادنى العربى .

(١) النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب - نسخة بالتصوير الشمسى
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة - ج ٢٨ - لوحة ٩٤
وما بعدها ، المقرئى : السلوك - ج ١ - قسم ٢ - ص ٥٦٧ وما بعدها ،
وج ١ قسم ٣ - ص ٧٤٧ وما بعدها . راجع أيضا ، A.S. Atiya ,
The Crusade in the Later Middle Ages, London, 1938 , 20 ff.

المغول والعدوان الصليبي

إن الحديث عن حركات الترابط العربي في مواجهة العدوان الصليبي ، يستوجب الإشارة إلى عنصر ثالث استجد على مسرح الأحداث في أواسط القرن السابع الهجري (أواسط القرن الثالث عشر الميلادي) ، وكان له دوره في الصراع الدائر بين العرب واللاتين في منطقة الشرق الأدنى ، ونعني بذلك المغول . فقد أصبح المغول منذ أوائل ذلك القرن خطرا يهدد الفارة الأوروبية . ورأى البابوات واهل الغرب أن خير وسيلة لالتقاء شرهم ، هي العمل على كسبهم إلى الكاثوليكية ، واستمالتهم اليهم في حرب صليبية مشتركة ضد الاسلام في الشرق ، في وقت كان فيه افرنج الشام يتلقون اشد الضربات من العرب ، وفي وقت كانت فيه اوربا الغربية تستجدي العون لحملة عدوانية جديدة .

وتنفيذا لهذه السياسة ارسل البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤) اثناء انعقاد مجلس ليون الكنسي سنة ١٢٤٥ عدة سفارات إلى المغول أخفقت في تحقيق اهدافها الرئيسية ، وإن كانت قد أبعدت الخطر المغولي عن أوروبا . وتجددت المفاوضات بين الطرفين بعد ذلك بفترة قصيرة . ففي اثناء اقامة الملك الفرنسي لويس التاسع في جزيرة قبرص قبل ابجاره في حملته الصليبية إلى مصر ، ارسل إليه احد حكام المغول في وسط فارس سفارة تحمل رسالة يطلب فيها الاشتراك مع اللاتين في حملة صليبية كبيرة للاستيلاء على البيت المقدس من العرب ^(١) .

Joinville, op. cit., 74; Rothelin, op. cit., 569 ff.; cf. (١)
also A.S. Atiya, The Crusade in the Later Middle Ages, London,
1938, 283 ff.

ويجد الباحث المدقق أن كلامن اللاتين والمغول كان يعمل على استغلال الآخر لمصالحته الشخصية . فاذا نظرنا إلى المغول نجد انهم اخذوا منذ وقت غير قريب في وضع الخطط الاولى لتكوين امبراطورية قوية لهم تدخل في نطاقها بلاد العراق والشام . وكانوا يعرفون مبلغ الضعف الذي وصلت إليه الخلافة العباسية في بغداد آنذاك ، وأنها لأبد أن تسقط عند أول ضربة توجه اليها . وادركوا ايضا أن مصر ، باعتبارها زعيمة العالم العربي ، يستحيل أن تقف من هجومهم موقف المتفرج ، بل سوف تهب لصد عدوانهم الذي كان يهددها هي الاخرى تهديدا مباشرا . لذا وجدوا أن اسلم الطرق لتحقيق مآربهم في رقعة الشرق الأدنى العربي هي العمل يدا واحدة مع الصليبيين الغربيين للقضاء على سلطان مصر وازالة قوتها من الميدان . وكان طبيعيا أن يرحب الجانب اللاتيني بذلك ، بل كان هذا غاية ما يتمناه ملك الفرنسيين ^(١) .

لكل هذا رحب الملك اللاتيني بفكرة التعاون المشترك مع المغول . وأوفد إليهم بعثتين بين سنتي ١٢٤٩ و ١٢٥٢ ، لم يكن مصيرهما بأحسن من مصير السفارات السابقة (٢) .

ومع ذلك ، فقد كان لهذه التحركات والاتصالات المغولية اللاتينية نتيجة أخرى هامة . إذ تأكدت أطماع المغول في المنطقة العربية . وما هو أهم ، استشعار مصر والعرب في الشرق الأدنى بالخطر الجديد المقبل من الشرق الأقصى ، وادراكهم ما كانت تعنيه فكرة تكوين جبهة لاتينية مغولية مشتركة

(١) حسن حبشي: الشرق العربي بين شيقي الرحى - ص ٣٦ - ٣٧ ، وكذلك

L. Bréhier, L'Eglise et l'Orient au Moyen âge, Paris, 1928, 222.

(٢) Joinville, op. cit., 74, 258 ff.; cf. also Atiya, op. cit., 243 ff.

ضد العروبة والاسلام . فكانوا يعلمون جيدا أن المغول يستعدون لتوسيع رقعة أملاكهم على حساب الخلافة العباسية التي كانت تحتضر آنذاك . ويعلمون كذلك أن انشغالهم في صراعهم مع الصليبيين سوف يسهل على المغول مهمتهم . وهذا ما حدث . ففي سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) قضى المغول على الخلافة العباسية في بغداد . وانطلقوا بعد ذلك يعمثون فسادا في ربوع الشام الذي كاد أن يقع في أيديهم .

كل هذا أيقظ العرب في مصر والشام ، وأدى إلى تكتيل القوى وحشد الجهود في الوقت الذي كانوا يواجهون فيه الضربات القوية إلى مستعمرات اللاتين المتبقية لهم في الشام . وانتهى الأمر بأن ألحقت مصر بالعنصر المغولي هزيمة ساحقة في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠ م)^(١) . وبذلك تم انقاذ مصر والشرق الأدنى العربي كله من خطر مائل . وتفرغ المماليك لتأديب الصليبيين وطردهم من بقية المعاقل الساحلية التي كانوا يتحصنون بداخلها .

(١) أبو الفرج : تاريخ مختصر الدول - بيروت ١٨٩٠ - ص ٤٣٨ وما بعدها و ٤٤٦ و ٤٧١ وما بعدها ؛ أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع - القاهرة ١٣٦٦ هـ - ص ١٩٨ وما بعدها ؛ المقرئ : الخطط - ج ٢ - ص ٢٣٨ .

العدوان الصليبي في القرن الثامن الهجري

(ق ١٤ م)

لم تمت الفكرة الصليبية تماما بسقوط عكا وآخر معاقل اللاتين في شرق البحر المتوسط في أواخر القرن الثالث عشر ، وبكبح جماح المغول في عين جالوت ، بل نجد أنها استمرت خلال القرن الرابع عشر . ولكن في ظروف تختلف عن الظروف التي بدأت فيها . كان الغرب الأوروبي آنذاك في فترة تغير وانتقال ، ولم يكن هناك شيء ثابت على حاله . وقل اهتمام الناس بالفكرة الصليبية نفسها نتيجة الصراع العنيف بين البابوية والامبراطورية على المسائل العلمانية . هذا في الوقت الذي أصبح فيه المسائل التجارية الاعتبار الأول . وأخذ الصراع بين شقي العالم معنى جديدا . إذ أصبح الادعاء الديني ادعاء ظاهريا مكشوبا بعد أن اختلط بمصالح عالمية مادية . وخير مثال لذلك المواطن الايطالي الذي فقد اعتقاداته الدينية الوسيطة بسبب الكسب المادي من التجارة . وعلى هذا كانت محاولة احياء الروح الصليبية في الغرب بعد سقوط عكا عملية مقضيا عليها بالفشل منذ البداية .

حقا ، لقد قام كثير من الدعاة والمبشرين بالدعوة لها في شتى أرجاء الغرب . ومن أشهر هؤلاء بطرس ديبوا ، ورامون لال ، وبترس توما ، وفيليب دي مزير . وحقا ، قامت عدة حملات صليبية لتحقيق نفس الأطماع القديمة ، من أهمها حملة بطرس لوزنيان على الاسكندرية سنة ١٣٦٥ ، وحملة لويس الثاني دوق بوربون على المهدية سنة ١٣٨٩ ، وحملة نيقوبوليس الشهيرة سنة ١٣٩٦ . ولكن تلك الحملات فشلت في تحقيق أهدافها . وتعتبر الحملة الأخيرة منها ، هي آخر . محاولة جدية قامت بها أوروبا بأسرها لا لخراج الاتراك العثمانيين من شبه جزيرة البلقان فحسب ، بل للوصول إلى بيت المقدس في قلب دولة المماليك

أيضا. ولكن الحملة تحطمت فوق صخرة المقاومة العربية، كما تحطمت الحملات السابقة لها وأصبحت فكرة الاستيلاء على الأراضى المقدسة حلما من أحلام الماضى البعيد حاول اللاتين عبثا إحيائها، ولكن النتيجة لم تكن فى صالحهم على الإطلاق. ولو ألقينا نظرة فاحصة على مسرح الأحداث وقتذاك للتعرف على الأسباب التى أدت إلى انتصار العرب وخذلان اللاتين ، نجد أن دول الشرق الأدنى ، ونعنى ممالك مصر والدولة العثمانية ، كانت فى حالة من القسوة والانتعاش تساعد على تسديد ضربات قاصمة إلى الصليبيين الغربيين ، فى وقت كان فيه الغرب فى حالة ضعف وتدهور وفى فترة تغير وانتقال . لقد كان هذا عصر من عصور القوة العربية الاسلامية، يقابله عصر تفكك وانحلال فى أوروبا .

يقظة العرب في القرنين الثامن والتاسع الهجري

(ق ١٤ - ١٥ م)

و كينها كان الأمر ، فقد كان لهذا الفشل الذى منيت به أوروبا أثره الكبير على مجرى الحوادث فى كل من الغرب والشرق الأدنى . إذ انصرف الغرب إلى شؤونه الداخلية تاركاً نهائياً فكرة الحرب الصليبية . أما فى الشرق الأدنى ، فقد أصبح لمصر بحكم مركزها الجغرافى والحربى السيادة المطلقة على سواحل شرقى البحر المتوسط ، وأصبحت تركيا قوة أوروبية إلى جانب كونها قوة آسيوية . وقد فشلت محاولات البابا بيوس الثانى (١٤٥٨-١٤٦٤) الوقوف فى وجه الاتراك فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، لأنه كان فى الواقع يحاول إحياء فكرة أصبحت فى عداد الماضى ^(١) .

(١) أنظر ذلك عن Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, 3-9, 17-23, 48-52, 74 ff., 128 ff., 345 ff., 398 ff., 435 ff., 480-3; idem, *Crusade, Commerce and Culture*, Bloomington, 1962, 92-111; idem, *The Crusade of Nicopolis*, London, 1934.

وللمزيد من التفاصيل عن الداعية فيليب دى ميزير وحياته ، وهيئة فرسان آلام المسيح التى دعا إلى انشائها وأهدافها، انظر A.H. Hamdy, "Philippe de Mézières and the New Order of the Passion," *Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University*, Part I, 45 - 50, Part II, 8 — 41.

وفىما يتعلق بحملة بطرس لوزنيان على الاسكندرية ، فقد أشار الدكتور جمال الدين الشيال فى كتابه « الاسكندرية : طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور الى الوقت الحاضر » - القاهرة - طبع دار المعارف - ص ٢٣٤ - ٢٣٥ و ص ٢٣٤ ح ٢ ، الى أهم البحوث التى كتبت عن الحملة ، بالإضافة الى =

وكما حدث فى أواخر القرن السابع الهجرى (ق ١٣ م) ، كذلك كان رد الفعل الطبيعى فى القرن التاسع الهجرى (ق ١٥ م) . ويتمثل رد الفعل هذا فى هجمات عربية اسلامية مضادة هدفها طرد اللاتين من المناطق التى كانت لا تزال بأيديهم . وهى تتناول الاتراك العثمانيين وهجمات المضادة لهجمات الصليبيين . وكان الصراع فى هذه الفترة فى البلقان والقسطنطينية . إذ أخذ العثمانيون يكتسحون البلقان ، ويسددون الضربات القاصمة إلى الامبراطورية البيزنطية - وكانت تعاني آنذاك من الضعف والانحلال - إلى أن انتهى الأمر بسقوط عاصمتها القسطنطينية فى أيديهم سنة ١٤٥٣م ، فتحقق بذلك أمل كان السلاجقة يسعون إليه فى القرن الحادى عشر . وبسقوطها ينهار آخر صرح من صروح المؤسسات الوسيطة . وكان من نتائج ذلك اعتراف أوروبا بالعثمانيين كقوة أوروبية جديدة رغم أصلهم الآسيوى ودينهم الإسلامى .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد قام ممالك مصر بهجمات المضادة لهجمات الفرنج ، وكان مسرح الصراع هو أرمنية وقبرص ورو德斯 . وكان موقف مصر بمثابة دفاع هجومى ضد الحروب العدوانية التى كانت أوروبا اللاتينية تشنها تحت شعار الصليب . وكان من نتيجة ذلك انتصار مصر فى ميادين عديدة فوق أراضى الشرق الأدنى ومياه الخوض الشرقى للبحر المتوسط ، مدفوعة بدافع الجهاد المقدس باعتباره فرضا واجب الأداء ، يستهدف أساسا

==المصدر الرئيسى المعاصر لها وهو مخطوطة النويرى السكندري المسماة « الامام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة الاسكندرية فى سنة سبع وستين وسبعماية وعودتها الى حالتها المرضية » التى توجد نسخة خطية منها بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٤٢ تاريخ .

الدفاع عن الوطن العربي والقضاء على أعدائه . وقد بدأ هذا الهجوم المضاد باحتلال المماليك مملكة أرمينية المسيحية عام ١٣٧٥^(١) .

ولضمان احرار انتصارات حاسمة قاطعة ضد باقى الممالك اللاتينية فى شرقى البحر الأبيض حيث يعتصم اللاتين فى الجزر البحرية ؛ كان من الضرورى على المماليك انشاء اسطول قوى لنقل الجند والعتاد ومهاجمة السواحل . وقد أوقفت الحاجة إلى الاسطول تقدم المماليك قرابة نصف قرن . ولكن يجب ألا ننسى أنه فى خلال هذه الفترة كان لاتراك العثمانيون يكتسحون البلقان ويسددون الضربات القوية إلى الامبراطورية البيزنطية .

وهكذا ، ما أن انتهى الأمر بالشام أولا ، وبأرمينية ثانية ، حتى جاء دور مملكة قبرص اللاتينية التى طالما سببت للشرق الاذنى العربى مضايقات ومتاعب كثيرة . وقد بدأ الهجوم المضاد عليها عام ١٤٢٤ م ، وكان المماليك مازالوا يذكرون حملة بطرس لوزنيان على الاسكندرية وما أنته من أعمال العنف والتخريب فى الثغر المصرى ، ومازالوا يذكرون أيضا تلك الجزيرة كقاعدة للعدوان الغربى ، وكرز لامداداته وتموينه وتجهيزاته العسكرية

(١) تكشف مراجع الحركة الصليبية عن تعاون مملكة ارمينية مع كل من الصليبيين والمغول ضد العرب . ويتضح هذا فى مناصرتهم للصليبيين خلال الحملة الأولى . أنظر . Grousset. Hist. des Crois., I, 31 — 43. كما كان ملكهم المسمى هيتوم الأول (١٢٢٦ - ١٢٧٠ م) هو العامل الرئيسى فى اقناع خان المغول بارسال الحملة التى قضت على الخلافة العباسية فى بغداد بقيادة هولاكو سنة ١٢٥٨ م . أنظر أبو الفرج : تاريخ مختصر الدول - ص ٤٥٩ وما بعدها . ومن هنا كان انتقام مماليك مصر من تلك المملكة .

ضد الثغور المصرية والشامية . كل هذا جعل المماليك يقررون غزو الجزيرة
تأمينا لديارهم وعقبا للفرنيج المعتمدين . يضاف الى ما تقدم عامل آخر ، وهو
أن الجزيرة غدت وقتذاك مأوى للقراصنة من الفرنج الذين تعاونوا مع آل
لوزنيان في مهاجمة السواحل الخاضعة لسلطان مصر المملوكي ، وأما بوا تجارة
المماليك بخسارة كبيرة . وبلغ بهم الأمر أن صاروا في القرن الخامس عشر
خطرا حقيقيا على مصر . لذلك وجه المماليك ثلاث حملات بحرية اليها ، الأولى
عام ١٤٢٤ وقد ألحقت هزيمة كبيرة بقوات آل لوزنيان ، وحدثت الحملة الثانية في
السنة التالية حيث هزمت القوات القبرصية وكبدتها خسائر فادحة وكانت الحملة
الثالثة من الأخيرة عام ١٤٢٦ . وقد توجهت الى الجزيرة في عدد ضخم من السفن
والرجال في وقت كانت فيه قبرص تعاني من الضعف والتفكك . وانتهت
بانتصار حاسم للمماليك وبأسر ملك قبرص المسمى جانوس Janus الذي
دفع الثمن غاليا . اذ لم يطلق صراحه الا بعد الموافقة على دفع غرامة باهظة
وجزيرة سنوية ، وتسلم المملكة كاقطاع من قبل السلطان المملوكي .

ومنذ ذلك الحين أصبحت قبرص قاعدة عربية قوية توجه منها الضربات
الحاسمة الى باقي معاقل اللاتين . وكان طبيعيا بعد هذا الظفر الحاسم أن يرنو
المماليك بأبصارهم الى ميدان جديد . وكان هذا الميدان جزيرة رودس حيث
يعتصم فرسان القديس يوحنا . لكنهم وجدوا مقاومة عنيفة من هؤلاء الفرسان
خلال الحملات الثلاثة التي قاموا بها بين سنتي ١٤٤٠ و ١٤٤٤ . ولو أن هذه
الحملات لم تؤت ثمارها ، إلا أنها نبهت سلاطين الاتراك العثمانيين الذين حاصروا
الجزيرة مرتين بهدف امتلاكها . فقد قام السلطان محمد الثاني بالمحاولة الاولى
عام ١٤٤٨ ، ولكنها صمدت إلى عام ١٥٢٢ حين استطاع سليمان الاول أن

يستولى عليها في عهد القائد الاعظم للفرسان فيليب دى مزير^(١) .
هكذا كانت الفكرة الصليبية تلفظ آخر انقاسها في وقت كانت فيه العصور
الوسطى نفسها يمثلها ومبادئها وفلسفتها وأفكارها في طريقها إلى الزوال ليحل
محلها عصر جديد . وأدرك الاوروبيون أن تلك الفكرة بمعناها المألوف لم تعد
تصلح قناعا لاختفاء أطماعهم القديمة في العالم العربي ، بل أصبحت ذكرى لماض
بعيد بغيب . وأخذ العالم يتجه نحو مثل ومبادئ مغايرة لما كان معروفا
في القرون الوسطى أيام سطوة الكنيسة وسيطرة البابوية . وأخذت عجلة
التاريخ تشق طريقها في سرعة مذهلة وسط أحداث وتقلبات هامة شهدها
عصرنا الحديث . وقامت حربان عالميتان قلبتا الاوضاع وميزان القوى في العالم
رأسا على عقب وظلت أطماع أهل الغرب في المنطقة العربية كما هي دون
تغيير ، بالرغم من التغيير الجوهرى الذى طرأ على كافة الظروف من سياسية
واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها . لم تنزل الاطماع الاستعمارية ولم تتغير ،
وإنما الشيء الوحيد الذى زال هو الرداء الذى ألبسوه هذه الأطماع .
فبعد أن كان رداء صليبي في عصر يقبل مثل هذه الاوضاع ولا يفهم شيئا
سواها ، خلع اليوم رداءه وكشف عن حقيقته عارية .

Atiya, Crusade in the Later Middle Ages, 463 ff.; idem, (١)
Crusade, Commerce and Culture, 129 ff.

وحول استخدام قبرص كقاعدة للعدوان الصليبي ضد مصر وبلدان
الشرق الأدنى في العصر الاسلامي ، أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):
قبرص والحروب الصليبية - القاهرة ١٩٥٧ .

آراء واستنتاجات

مما سبق يمكن أن نستخلص عدة آراء واستنتاجات هامة، نجملها فيما يلي:

أولاً : تكشف الخطوط العريضة البارزة التي أوضحناها في هذا البحث عن فكرة لها مغزاها ودلالاتها ، تتعلق بعصور القوة والتهاusk والتكتل وعصور الضعف والتفكك والتأخر في الشرق الأدنى العربي منذ أوائل القرن السابع حتى أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر الميلادي . ولماذا كان الخط البياني يرتفع أحيانا ليسجل ذروة القوة والمنعة في الشرق العربي ، ثم لا يلبث أن ينخفض ليشير إلى فترة من فترات التدهور والانقسام والانحلال ، وهكذا . وماذا كانت النتائج الخطيرة المترتبة على هذا التفاوت بين القوة والضعف وبين التأسك والتفكك وبين التقدم والتخلف .

وثمة فكرة أخرى ترتبط بسابقتها ، ونعني بها تغير ميزان القوى بين الغرب اللاتيني والشرق العربي ، ولماذا كان مركز الثقل يتغير بين القوتين هبوطا وصعودا . ففي الوقت الذي ترجح فيه كفة اللاتين الغربيين ، لم يكن ميزان القوى في صالح العرب إطلاقا . وبالعكس، عندما ترجح كفة العرب ، كان يقابل ذلك انحطاط وتدهور في أوروبا الغربية. ومن هنا عندما يشعر الغرب أنه الأقوى ، كان يقوم بهجمات العدوانية على العالم العربي ، ويحرز عادة انتصارات سريعة على حساب العرب . وعندما يستجمع العرب قواهم ويكتلون أنفسهم ، كانوا يقومون بهجمات وحروب مضادة تنتهي عادة بالحاق الهزيمة والخذلان بالعتدين ، واستعادة ما استولوا عليه . وباختصار فقد اتخذ العرب في عصور القوة سياسة الهجوم ، بينما التزموا بسياسة الدفاع عن أنفسهم وعن ممتلكاتهم بوجه عام في عصور الضعف . ويرتبط

هذا إلى حد بعيد بالظروف والأحوال السائدة في العالم العربي من سياسية واقتصادية واجتماعية . وما يقال عن العرب يقال أيضاً عن الغرب الأوروبي . ولكن عندما يعتدل ميزان القوى بين الفريقين ، كان هذا يعني نوعاً من الهدنة المؤقتة ، أو فترة من التربص والانتظار ، مع الاستعداد والترقب لحين موافاة الفرصة المواتية للانقضاض . والنجاح يكون آخر الأمر لمن تهيب له الظروف رجحان كفته^(١) .

ثانياً : وتنحصر الحقيقة الثانية في أن الصراع بين الصليبيين اللاتين وبين العرب في الشرق الأدنى كان يبدأ عادة بهجمات صليبية كتملك التي قام بها الغرب عند بداية الحركة الصليبية في أواخر القرن الحادى عشر ، وحملات القرن الرابع عشر الصليبية ، وكان يعقب كل هجوم غربى يقظة عربية وحملات مضادة لاسترجاع الاراضى المقدسة من أيدي الأوربيين . ونجد مثلاً لذلك في يقظة القرن السادس الهجرى (ق ١٢ م) في عهد عماد الدين زنكى ونور

(١) قسم كل من رينيه جروسيه وستيفن رنسيان العدوان الصليبي إلى ثلاثة أدوار رئيسية لكل دور ملامحه المميزة ومميزاته الخاصة به ، وجعلها هذه الأدوار أساساً لمؤلفيهما الكبيرين عن ذلك العدوان . الدور الأول وهو الذى رجحت فيه كفة الصليبيين الغربيين على العرب في الشرق الأدنى ، والدور الثانى وهو فترة تعادل القوى بين الفريقين المتحاربين ، والدور الثالث والأخير وهو الذى رجحت فيه كفة العرب على الفرنج وانتهى بانتصارهم عليهم وطردهم من الأراضى المقدسة في أواخر القرن الثالث عشر . أما الحملات الصليبية المتأخرة التى قامت في القرن الرابع عشر ، فهى من وجهة نظرهما أثر من آثار الحركة الصليبية ، أو حسبما أطلق عليها جروسيه ، هى خاتمة الحروب الصليبية . وجدير بالذكر أن كل فكرة من الأفكار التى ذكرناها في هذا الاستنتاج في حاجة إلى دراسة مستقلة قائمة بذاتها .

الدين محمود وصلاح الدين الايوبي ، والتي انتهت بالحق الهزيمة بالفرنج عندما استولى المماليك على انطاكية وطرابلس وعكا في أواخر القرن السابع الهجري (ق ١٣ م) . وكذلك الهجمات العربية الإسلامية المضادة التي قام بها الأتراك العثمانيون ومماليك مصر في القرنين التاسع والعاشر الهجريين (ق ١٥ م) ردا على الحروب الصليبية المتأخرة في القرن الثامن الهجري (ق ١٤ م) .

ثالثا : وهنا يجب أن نفرق بين اليقظات العربية الكبرى التي ابرزها العدوان الصليبي ، مثل يقظة القرن السادس الهجري ، وحركة الافاق التي بدت منذ أواخر القرن الثامن وخلال القرن التاسع الهجري ، اللتان تكتلت فيهما القوى والجهود في مصر والشام والعراق وأثمرتا حملات هجومية دفاعية كان لها أكبر الأثر في طرد الفرنج الغرباء من رقعة الشرق الأدنى العربي ومن الجزر البحرية التي كانوا يمتصمون بها في البحر المتوسط - يجب أن نفرق بين هذه اليقظات الكبرى وبين حركات الترابط والتجمع العربي العادي أمام أى خطر صليبي يتهدد العرب خلال الصراع اليومي بين الطرفين في المنطقة . ونضرب مثلا لذلك بالحركات الفردية التي كان العراق وشمال الشام مسرحا لها بعد بداية الحركة الصليبية بقليل ، وقد أشرنا إلى ذلك آنفا . وكذلك موقف المماليك في مصر والايوبيين في الشام من دسائس ومؤامرات الملك اللاتيني لويس التاسع في أواسط القرن السابع الهجري (ق ١٣ م) بعد هزيمته على ضفاف النيل وذهابها إلى سورية لتجديد العدوان ، ومحاولة الايقاع بين الفريقين مستغلا في ذلك بعض الخلافات الطارئة بينهما . وكانت النتيجة عكس ما توقع ، إذ تنبه الفريقان المتعاديان إلى خطة الملك الصليبي ، وبادرا بالاتفاق والتراضي ، وبذلك أضاعا عليه فرصة كان يحلم بها (١) .

(١) أنظر جوزيف نسيم يوسف . لويس التاسع في الشرق الاوسط - ص ١١٦ وما بعدها .

ولايضاح هذه الفكرة وبيان فلسفتها نقول إن العدوان الصليبي كان يبدأ عادة عندما يكون الشرق الأدنى العربي منقسماً على نفسه ، وفي حالة ضعف وتفكك بينما الغرب في مركز القوة ، وينتهي غالباً بانتصارات سريعة خاطفة على حساب العرب . ثم يعقب ذلك استشعار العرب أنفسهم بالخطر وعواقبه ، ومبادرتهم بالتكتل والتجمع . « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . وغالباً ما تكون حركات التجمع العربي هذه محلية وفي مناطق الخطر نفسها ، بقصد العمل على منع امتداده واستفحاله . وكانت تحرز نجاحاً جزئياً وليس نهائياً أو حاسماً . ولكنها كانت تعتبر البداية الطبيعية لحركة اليقظة والافاقة الشاملة ، التي تؤدي الى التثام شمل الشعوب العربية في المنطقة في وحدة واحدة متكاملة تحس بالخطر المشترك وبأبعاده ، وتدرك عواقبه ومضاعفاته ، وتستعد لدفعه والقضاء عليه . « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

وكانت هذه المراحل المتتابعة تؤدي في نهاية الأمر إلى المرحلة الأخيرة الكبيرة ، ونعني بها الجهاد المقدس . « إنقروا خفاً واثقلاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » والمقصود بذلك الجهاد العسكري المسلح في سبيل الله والعروبة والوطن العربي . ويكون لهذا الجهاد نتائجه الحاسمة . إذ يؤتي ثماره الطيبة بطرد الدخلاء من المنطقة العربية ، وإحراز نصر مبین عليهم . « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

ولو نظرنا إلى العدوان الصليبي نظرة الفاحص المدقق المتمعم ، وتبعنا مراحلها من بدايتها إلى نهايتها ، أمكننا تفهم هذه الفكرة التي أسلفنا إليها .

رابعا : كذلك فإن الدور الذى قام به المغول فى أواسط القرن السابع الهجرى (ق ١٣ م) ، والسفارات المتبادلة بينهم وبين اللاتين ، والاتلاحم الحربى بينهم وبين العرب - يكشف عن استنتاجات تسيطر اللثام عن حقيقة دوافع العدوان الصليبي. إذ كان هدف اللاتين تحويل المغول إلى المسيحية على المذهب الكاثوليكي لتقوى بهم جيوشهم ، وبذلك تقع الأراضى المقدسة بين المغول وأوروبا الغربية ، فلا يكون هناك مفر من بقائها فى قبضة الغربيين بقاء دائما. ثم أن المغول أصبحوا طرفا ثالثا فى الصراع الدائر فى الشرق الأقصى فوق أراضى المشرق العربى وعلى حسابه .

وثمة سؤال يثيره منطق الحوادث وهو : ماذا كان المصير لو تم فعلا تكوين جبهة لاتينية مغولية متماسكة ضد العرب والاسلام أدت إلى حملة صليبية مشتركة؟ تتوقف الإجابة عن هذا السؤال إلى حد بعيد على تحليل الأحوال السائدة فى كل من الغرب اللاتينى والشرق الأدنى العربى وقتذاك . فقد كان الغرب يعانى من الضعف والتدهور^(١) ، وأخذ ينصرف تدريجيا عن فكرة الحرب الصليبية^(٢) . وكان افرنج الشام يستجدون العون والمساعدة من أهل الغرب

(١) Cf. Bréhier, op. cit., 226; Stevenson, op. cit., 331 .

(٢) Calmette, op. cit., 418. - ويعبر عن ذلك أصدق تعبير شاعر

فرنسى عاصر فترة احتضار الفكرة الصليبية ، ويدعى ولیم رتف Rutbeuf (١٢٤٥ - ١٢٨٥) . إذ قال فى قصيدة له بالفرنسية الوسيطة إنه من الحق والغباء أن يخاطر الانسان فى حـرب صليبية خارج بلاده طالما كان بوسعه أن يتصل بالله فى وطنه وأن يعيش فى يسر ونعمة وسلام . وفيها يتحدث عن رجال الدين ، كبارهم وصغارهم ، فى سخرية لاذعة وتمكـم مـرير . فيقول =

دون جدوى ، ولم يبق لهم سوى بعض الحصون والمعازل المبعثرة على امتداد الساحل الشامي. (١) أما الممالك في مصر والايوبيون في الشام ، فقد كانوا مسيطرين على الموقف ، خاصة بعد اتفاقهم . وكانوا يستعدون فعلا لتوجيه الضربة النهائية الى افرنج الشام (٢). لكل هذا لم يكن ينتظر أن تحرز أى حملة لاتينية مغولية مشتركة ضد العرب نجاحا ما . وكان أقصى ما يمكن أن تحققه مثل تلك الحملة، لو خرجت الى حيز التنفيذ، هو إثارة بعض المتاعب والمضايقات للجانب العربي فحسب . والدليل على ذلك أن الممالك تمكنوا من إلحاق الهزيمة بكل من الصليبيين والمغول متفرقين وفي وقت متقارب (٣).

خامسا : غير خاف أن انكشاف الاتجاهات الاستعمارية التوسعية للحركة الصليبية منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدام الصليبيين الأراضي المقدسة،

= انهم لاهم لهم سوى اشباع بطونهم المتخمة . ويختتم القصيدة بنفس الفكرة التي بدأها بها ، وهي الدعوة إلى بقاء الغربيين في بلادهم. أنظر G. Masson, *Medieval France, London, 1888*, 96 - 7. لم تعد تلقى القبول والرواج ، خاصة بين المتعقلين المتحررين من أهل الغرب . وقد أخذ الناس يفضون عنها ، وبدأ كل فرد يتجه إلى مصالحه الخاصة ، والدول إلى مشاكلها الداخلية. وجدير بالذكر أنه ظهرت الكثير من المؤلفات التي تسخر من مثل هذه الأوضاع السائدة في المجتمع الغربي الوسيط وقتذاك.

Cf. Grousset., *Crois.*, III, 494; *idem*, *Sum of Hist.*, 177 ff. (١)

(٢) أنظر المقرئى: السلوك - ج ١ قسم ٢ - ص ٣٨٢ وما بعدها. وكذلك

Joinville, *op. cit.* , 294.

(٣) موضوع ترابط مصالح الصليبيين والمغول في منطقة الشرق الأدنى

العربي ، في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل .

قد ساعد على ظهور حركات الترابط والتكتل العربى فى المنطقة، تلك الحركات التى وصلت إلى دور النضج والكمال فيما يعرف باليقظة العربية الشاملة. ولا شك أيضا أن مظاهر العنف والقسوة والتعصب وانعدام الرحمة التى تميز بها اللاتين ، كانت هى الأخرى عاملا هاما فى إثارة الروح القومية بين العرب ضد أولئك القوم . كل هذا أدى آخر الأمر الى وحدة العرب وطردهم الدخيل .

سادسا : كانت مصر خلال هذا الكفاح الدامى المبرر عبر القرون المتعاقبة هى قلب العروبة النابض بالحياة ، ومعقلها المنيع ، ومركز امدادها بالرجال والمال والميرة والسلاح . وإذا استثنينا الحملتين الأولى والثانية ، حينما كانت دولة الفاطميين بمصر فى طور الاحتضار ، ولم يكن بوسعها هى أو غيرها من دول الشرق الأدنى الوقوف فى وجه الدخلاء ، نجد أنه ما من حملة صليبية أخرى أمكنها الوقوف فى وجه القاهرة منذ أن استكمل الكيان العربى بنائه أيام صلاح الدين الأيوبي . ولذا انحصر هدف الغرب منذ ذلك الحين فى إزالة قوتها من الميدان ، يقينا منه أنه لن يتم له المحافظة على وجوده بالشرق إلا بقهر مصر أولا وقبل كل شئ (١) . وقد أوضح هذه الحقيقة المؤرخ الصليبي

(١) تعرض الدكتور جمال الدين الشيال فى كتابه «مجل تاريخ دمياط» - الاسكندرية ١٩٤٩ ، لهذه الحقيقة بالدراسة والتحليل . فقد جاء فى ص ٢٠ من الكتاب المذكور أن الحركة الصليبية أصابها انقلاب خطير منذ أواخر عهد الملك العادل ؛ « إذ لاحظ الصليبيون أن مصر هى حصن الاسلام القوى وضعفته الغنية، وأنها مصدر الامداد القوية الوفيرة من الرجال والميرة والسلاح الخ ... » . أنظر حول هذا الموضوع كذلك المراجع التالية :

St. Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1930, 218; idem, The Story of Cairo, London, 1924, 193; J.

جان دي جواينفيل Jean de Joinville (١) صاحب المذكرات الفريدة في بابها عن حملة لويس التاسع على مصر . وكان هذا من الاسباب التي أدت إلى انتقال مسرح النزاع من الشمال في الشام إلى الجنوب في مصر ابتداء من القرن الثالث عشر ، بعد أن هب لها جهادها ضد الغزاة مركز القوة والصدارة في العالم العربي في العصر الاسلامي (٢) .

Piccone, Les Grands Courants de l' Histoire Universelle, II; =
Nouvelle, 1947, 106; J. Calmette, Le Monde Féodal, Paris,
1937, 408.

Joinville, op. cit., 100.

(١)

(٢) حول فكرة اتجاه الصليبيين نحو مصر بهدف الاستيلاء عليها، أنظر محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر - القاهرة ١٩٦١ - ص ٤ - ٣٦ ، حسن حبشي : الشرق العربي بين شقي الرحى - القاهرة ١٩٤٩ - ص ١٠ وما بعدها . كما كشف لنا الدكتور جمال الدين الشيال في مؤلفه : مصر والشام بين دولتين - القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٤٧ - ٩٩ وما بعدها ، المعالم الواضحة والخطوط العريضة لهذه الفكرة ، عندما تناول قصة الأحداث التاريخية في مصر والشام بين عامي ٥٥٨ و ٥٦٩ هـ ، إبان تدهور الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية . وهي قصة التنافس بين كل من نور الدين سلطان حلب وأموري ملك بيت المقدس اللاتيني في الظفر بمصر ، وتوالي حملات كل منهما عليها ، تلك الحملات التي انتهت بهزيمة الفرنج وانتصار جيش نور الدين بقيادة أسد الدين شيركوه في ربيع الآخر ٥٦٤ هـ . أنظر أيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية - ج ٢ - ص ٦٧٩ وما بعدها .

وتناول هذه الفكرة بالدراسة والبحث استاذنا الدكتور جمال الدين الشيال في دراسته التحليلية المقارنة للوثيقة رقم ١٩ ضمن مجموعة الوثائق الفاطمية ، وهي خاصة بتولية ابن شاور نيابة الوزارة عن أبيه . أنظر مجموعة الوثائق الفاطمية - ج ١ - ص ١٦١ - ١٧٠ . ومن المؤرخين الغربيين الحديثين -

ومن مصر أيضا كانت تنبث دائما صيحة الجهاد ضد الغزاة . فالجهاد كان عقيدة لها أثرها الفعال فيما أحرزه المصريون على أعدائهم من انتصارات . وكانت دعوة الجهاد كافية لاثارة الحماسة بين الناس . نكل مشترك في صد هذه الغزوات مجاهد ، وإذا مات في ساحة الوغى فهو شهيد . وكان للخطب والمواظب الدينية التي تلقى من فوق المنابر أكبر الأثر في الحث على الجهاد ضد الغزاة . وقد قام الجامع الأزهر بدور رئيسي في تنبيه الأذهان إلى الخطر الجاثم في أرض فلسطين . فخطب العلماء ورسائل الحكام مؤيدة بآيات من كتاب الله تهدد العدو وتذره بسوء الخاتمة « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ، و « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » . وآيات تستنهض عزائم العرب أن يحملوا أعباء الجهاد دفاعا عن مقدساتهم ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » . وآيات تبشر بالنصر وتؤكد « ألا إن نصر الله قريب » ، « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (١) .

== الذين تعرضوا لهذه الفكرة في شيء من التفصيل والتحليل، جوستاف شلومبرجيه في كتابه الخاص بحملات أموري الأول ملك بيت المقدس ضد مصر . أنظر

G. Schlumberger, Campagnes du Roi Amaury Ier. de Jérusalem en Egypte au XIIe. siècle, Paris, 1906.

(١) نجد أمثلة عديدة على ذلك في ابن واصل : مفرج الكروب - ج ٢ -
لوحة ٣٦٤ ب (النسخة المصورة) ، المقرئ : الخطط - ج ١ - ص ٢٢٠ ، والسلوك -
ج ١ قسم ٢ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - ج ٦ - ص ٣٦٧ .
والمصادر العربية بصفة عامة زاحرة بالأدلة على ذلك أنظر أيضا جوزيف
نسليم يوسف : هزيمة لويس التاسع على صفاف النيل - القاهرة ١٩٦٠ - ص

وقصارى القول أن مصر هي التي تصدت لقتال الصليبيين والمغول ودونت
بجهادها ضدهم صفحة مجيدة في تاريخها . وهي التي طردت الفرنج آخر الامر
من الشريط الساحلى الضيق الذى كانوا يستعمرونه بالساحل الشامى ، ومن
الجزر البحرية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط . وقامت بدور لا ينكر فى
تكتيل القوى العربية لمواجهة هذا العدوان . ثم هي التي حملت لواء الزمامة إبانها ،
وتحمل شعبها الكثير من الاعباء فى صده سواء أكان موجها ضدها مباشرة
مثل حملة كل من جان دى بريين ولويس التاسع ، أو ضد غيرها من البلدان
العربية كالحملة الثالثة . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ما كانت
تتمتع به مصر فى العصر الاسلامى من مكانة وقوة وبأس .

سابعاً . وهناك حقيقة جوهرية ترتبط بسابقتها ، وهي أن الحملات الصليبية
التي تعرض لها الشرق الأدنى الاسلامى ، كشفت عن ضرورة الاهتمام بأمر
الجيش ليصبح قوة رادعة ، وبالأسطول كذالك حيث تمتد الشواطئ العربية
لمسافات طويلة . لقد حتم عليها موقعها الجغرافى والاستراتيجى وأطاع الغزاة
فيها ، الاهتمام الزائد بتدعيم قواتها البرية والبحرية (١) .

وجدير بالذكر أن المصادر العربية فى العصر الاسلامى تعرضت للجيش
والأسطول فى العهدين الأيوبي والمملوكى ، وأولتها الكثير من العناية . ويرجع
ذلك إلى أن هاتين الدولتين قامتتا على فكرة الجهاد ضد الغزاة فهما دولتان
محاربتان جاءتا لطرد الصليبيين وغيرهم من الدخلاء من المنطقه العربية ، وضررتا

(١) تمتاز أوراق البردى العربية بأهميتها الكبرى فى دراسة التاريخ الاسلامى
والحياة الاجتماعية ونظم الحكم والادارة . ويهنا هنا أنها تضم عددا من
الوثائق التي تسلط الأضواء على نظام الجيش والأسطول . أنظر عن ذلك جمال
الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية - ج ١ - ص ٣ - ٤ وص ٣ ح ١ .

أروع الأمثال التي سجلها التاريخ المصري الوسيط في الكفاح ضد المغيرين .
وهذا يفسر سر اهتمام الايوبيين والمماليك بأمر الجيش الذي كان يعتبر
من أفضل جيوش العصر الوسيط في الشرق والغرب اعدادا وتنظيما وتدريباً
وتسليحاً. (١) إذ نعرف أنه كان يتألف من فرسان ومشاة ، ويتكون من
طوائف و فرق وطبقات ؛ فضلاً عن جماعات المتطوعة والعربان والمرتزقة . (٢)
وكان هذا الجيش مجهزاً بكل ما أنتجه العصر الوسيط من أسلحة ومعدات ،
أهمها السيوف والسهام والرماح والنشاب والدبابيس والقمى والدروع والتاريس
ومكاحل البارود وقوارير النفط والستائر والتيران الأغريقية (٣) . وكان
المحاربون المصريون يستخدمون هذه الأسلحة في قتالهم مع أعدائهم الصليبيين ؛
كما كانوا على علم بها قبل أن يعرفها الغربيون أنفسهم . وكانت مصر تنفق على
جيشها هذا بسخاء ، مع بناء الحصون والقلاع والاستحكامات ودور حفظ
السلاح اللازمة له ، وصيانتها وتزويدها بما يلزمها من العدد والرجال

(١) انظر القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا - ج ٤ - ص ١١٠-١١٦ .
(٢) انظر القلقشندي : المرجع السابق - ج ٤ - ص ١٤ وما بعدها ؛ ابن
منكلى : كتاب الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية - نسخة بالتصوير
الشمسى بمكتبة كلية آداب الاسكندرية - لوحة ٧٧ .

(٣) القلقشندي : نفس المرجع - ج ٢ - ص ١٣٥ وما بعدها و ج ٤ - ص ١١
وما بعدها ؛ ابن ممتى : كتاب قوانين الدواوين - القاهرة ١٩٤٣ - ص ٣٥٤ ؛
ابن منكلى : الاحكام المملوكية - لوحة ٨ - ٩ و ٢٣ وما بعدها . راجع أيضاً
Cahen, Un traité d'armurerie composé pour Saladin, Bulletin
d' Etudes Orientales, XII, 1947-1948, 15 ff.; Oman, Hist. of the
Art of War, II, 46 ff.

والعتاد . (١)

وأما البحرية فقد وجه لها المصريون أيام العدوان الصليبي عناية خاصة، لعلمهم أنها من أهم وسائل الدفاع عن البلاد ضد المغيرين عليها وضد الغزوات المفاجئة التي كانت الموانئ والمياه العربية تتعرض لها بين وقت وآخر . (٢) وكان الأسطول المصري يتكون من قطع مختلفة في أشكالها وأحجامها وأسمائها والأغراض التي تستخدم من أجلها ، وأهمها الشوانى والحراريق والمسطحات والبطس والطرائد والمرمات والغريبان . وكان بعضها يستخدم لنقل المقاتلين كالشوانى ؛ وكان البعض الآخر كالحراريق يستخدم لنقل الأسلحة النارية المعروفة وقتذاك ، والبعض لحمل الخيل كالطرائد ، والبعض لحمل الميرة والسلاح كالمرمات ، وهكذا . (٣)

(١) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة - ج ٢٧ - لوحة ٩٢ . راجع أيضا كتاب الدكتور نظير حسان سعداوى : جيش مصر في أيام صلاح الدين - القاهرة ١٩٥٩ .

(٢) تلقى المصادر الإسلامية الأضواء على ذلك اذ تذكر أنه عندما كانت الموانئ المصرية أو الشامية تتعرض لعدوان صليبي ، كانت مصر تبادر باعداد السفن وتجهيزها وارسالها على وجه السرعة إلى الجهات المعرضة للخطر لمنع الاعداء من النزول فيها أو احتلالها . ونجد امثلة لذلك في ابن واصل : مفرج الكروب - النسخة الخطية المصورة - ج ٢ - لوحة ٣٥٦ و ٣٦٨ ، النويرى : نهاية الارب - النسخة الخطية المصورة - ج ٢٧ - لوحة ٩١ - ٩٢ ، المقرئى : السلوك - ج ١ قس ٢ - ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

(٣) فيما يتعلق بقطع الاسطول المصري في العهد الأيوبي ، انظر ابن ممتاق : كتاب قوانين الدواوين - ص ٣٣٩ وما بعدها . راجع أيضا المقرئى : =

والمهم هنا أن هذه العناية الفائقة التي وجهتها مصر في عصر القوة والتماسك إلى الجيش والأسطول كان لها ما يبررها. وقد أوحى هذا إليها بالبراعة والخلق والابداع في شئون الحرب والقتال ضمانا للتفوق العسكري، وحفظا على أمن المنطقة العربية وسلامتها. وعلى هذا يمكن القول بأن هناك صلة وثيقة بين مركز مصر الجغرافي والاستراتيجي والغزوات التي تعرضت لها هي وغيرها من دول الشرق الأدنى العربي، وبين حتمية وجود قوة عربية ضاربة متفوقة. وكانت هذه القوة - هي حصن الدفاع الأول عن مصر وبلدان المشرق العربي ضد المعتدين؛ وإليها يرجع الفضل فيما لحق بالصليبيين والمغول من هزائم وويلات.

ثامنا : ان الحديث عن حركات اليقظة والافاقة العربية ودور مصر الايجابي فيها بفضل قوة جيشها وبحريتها في العصر الإسلامي، يقودنا إلى مسألة أخرى جوهرية تؤكدها الأحداث التي كانت المنطقة مسرحا لها. وهي أن فكرة توحيد الجبهة العربية في كيان متكامل غير منفصم، ووحدة واحدة لا تتجزأ، تعتبر مرحلة هامة أساسية من مراحل جهاد العرب ضد المغيرين. ذلك أن الوطن العربي عندما كان منقسما على نفسه في بداية العدوان الصليبي، لم يكن بوسعة اطلاقا الوقوف في وجه الصليبيين، أو احراز أى نصر حاسم عليهم. وان كل الحملات التي قامت ضد الدخيل كانت حملات ضعيفة لم يقدر لها النجاح

= الخلط - ج ٢ - ص ١٩٤ - ١٩٥، والسلوك - ج ١ قسم ٢ - ص ٣٣٩ ح ١.
ومن المراجع الحديثة، انظر عبد الفتاح عباد: سفن الاسطول الاسلامي وأنواعها ومعداتنا في الاسلام - القاهرة ١٩١٣ - ص ٤ وما بعدها، ميخائيل عواد: المآصر في بلاد الروم والاسلام - بغداد ١٩٤٨ - ص ٦٦ ح ٤.

بسبب الانقسامات. ولكن عندما تكتل العرب، وواجهوا العدو ممفًا واحداً،
وأخيراً وطناً واحداً، سهل عليهم احراز النصر النهائي عليه .

وهذه ظاهرة دورية عامة في تاريخ العروبة والاسلام منذ الفتح حتى يومنا
هذا . وقد أثبتت الاحداث أنه ضمنا للنصر الحاسم الاكيد ؛ يجب أن تسبق
عملية الجهاد الأكبر عملية أخرى لا تقل عنها خطراً وشأناً ، ألا وهى عملية
توحيد الجبهة العربية ؛ فهى مرحلة أولى ضرورية من مراحل هذا الجهاد .
والدليل على ذلك أن صلاح الدين ، ومن قبله نور الدين محمود ، لم يقوما
بجهادهما المعروف ضد الفرنج الا بعد تأمين الجبهة العربية وتوحيدها . وفى
ذلك يقول المؤرخ ولیم ستيفنسون W. Stevenson فى كتابه « الصليبيون
فى الشرق » ، ان السياسة العامة التى سار عليها الزعماء والحكام العرب هى
الامتناع قدر الاستطاعة عن مهاجمة الامارات اللاتينية بالشرق ، أو المغامرة
فى حرب خطيرة مع اللاتين فى الوقت الذى كانوا يؤسسون فيه دولتهم^(١) .
وان كان هذا لا يمنع من القول انه كان يحدث فى بعض الأحيان أن تسبق عملية
الجهاد المقدس عملية التوحيد، أو أن تسير العمليتان جنباً إلى جنب، وذلك عندما يجد
العرب أنفسهم نتيجة لظروف خارجية عن ارادتهم مضطرين إلى الاحتكاك بأعدائهم.

Stevenson, Crusaders in the East, 72⁹ - 4.

(١)

انظر ايضا جمال الدين الشيال : وحدة مصر وسورية - ص ١٩ . وفى
هذا يقول الدكتور جمال الدين الشيال « ولم يكن صلاح الدين ليستطيع القضاء
على مملكة بيت المقدس اذا كان حاكماً لمصر وحدها ، او حاكماً لسورية
وحدها . وانما هو نجح فى القضاء عليها عندما دخل المعركة كحاكم واحد
لدولة واحدة ، وكقائد واحد لجيش واحد، يرفوف عليه علم واحد » أنظر
وحدة مصر وسورية - ص ٢٠ .

وكانت مثل هذه المصادمات أو المناوشات غير حاسمة أو قاطعة . والخلاصه
أن العرب خرجوا من كفاحهم مع الفرنج بدرس ينحصر في ان عملية تكتيل
القوى العربية مرحلة اساسية لاغنى عنها يجب ان تسبق مرحلة الجهاد العسكرى
ضد العدو ضمانا لنجاحه .

تاسعا : لقد اوضحت الأزمات التى تعرض لها العالم العربى فى العصر الاسلامى
أن الشعوب العربية لم تكن بمعزل عما كان يجرى حولها من أحداث وتقلبات .
فقد أثبتت وعيا كبيرا ، وفهما عميقا لمجريات الأمور والاحوال ، وأكدت
وجودها وشخصيتها حتى فى عصور الضعف والتفكك . لقد أدت المقاومة
الشعبية داخل الوطن العربى دورها كاملا إلى جانب القوات النظامية فى الذود
عن حياض الوطن . وآية ذلك المواقف المشرفة التى وقفها الشعب العربى
فى مصر جنبا الى جنب مع جيشه فى الدفاع عن بلاده ضد ملك الفرنسيين
لويس التاسع فى منتصف القرن الثالث عشر ، مما سهل على الجيش مهمة
الاجهاز على قوات العدوان (١) .

وثمة مسألة أخرى وهى أن اللاتين عندما كانوا يهاجمون احدى الدول
العربية ، كانت الشعوب العربية تهب من كل مكان للانتقام منهم والاغارة
على مستعمراتهم بالاراضى المقدسة . وتروى المراجع أن مصر عندما كانت
تتعرض لعدوان صليبي ، يبادر الشعب السورى بالهجوم على معاقل اللاتين

(١) انظر عن ذلك ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب - (النسخة
المصورة) - ج ٢ - لوحة ٣٦٦ أ ؛ المقرئى : الخطط - ج ١ - ص ٢٢١ ،
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك - ج ١ قسم ٢ - ص ٣٥٠ ؛
Joinville, op. cit., 120; Rothelin, op. cit., 105.

أنظر أيضا لوحة رقم ٤ بآخر الكتاب .

بالساحل الشامى ، وذلك بقصد مضايقتهم ومحاولة صرفهم عما هم قادمون عليه . وكان هذا هو نفس ما يحدث عندما تتعرض بلاد الشام لعدوان غربى ، فيبادر المصريون إلى مساندة اخوانهم في الشال ضد العدو المشترك^(١) .

وغير خاف أنه وجد كذلك ارتباط روحى قوى بين العرب فى الشرق والمغرب خلال تلك الحقبة من الزمن . فبينما كان الاولون يجاهدون ضد الفرنج فى شرقى البحر المتوسط ، كان اخوانهم المغاربة يجاهدون هم أيضا ضد الأوروبيين فى غربى ذلك البحر ، وحق قبل أن يبدأ العدوان الصليبي على الشرق العربى فى اخريات القرن الحادى عشر^(٢) .

(١) نجد أمثلة لذلك فى الكتب التالية ابن واصل : مفرج الكروب (النسخة الخطية المصورة) ج ٢ - لوحة ٣٥٧ ب ، المقرئى : السلوك - ج ١ قسم ٢ - ص ٣٣٧ . أنظر أيضا الحقائق التاريخية الهامة المتعلقة بوحدة مصر وسورية فى العصر الإسلامى ، والتى أشار إليها الدكتور جمال الدين الشيال فى مستهل محاضراته « وحدة مصر وسورية فى العصر الإسلامى » - ص ٣ و ٩ .

راجع كذلك : Gr. Wiet, Histoire de la Nation Egyptienne, IV, Paris, 1937, 379.

(٢) أنظر سعد زغلول عبد الحميد : « العلاقة بين صلاح الدين وابى يوسف يعقوب » - مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - المجلدان السادس والسابع - الاسكندرية ١٩٥٢ - ١٩٥٣ - ص ٨٤ وما بعدها . وفيما يتعلق بالصراع الدائر فى المغرب الإسلامى بين المسلمين والمسيحيين فى القرن العاشر أنظر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس - بيروت ١٩٦٣ - ص ٢٨٩ - ٢٩١ و ٣٣١ - ٣٣٢ . كما استعرض الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى كتابه : المغرب الكبير - الجزء الثانى : العصر الإسلامى - الاسكندرية ١٩٦٦ ، جهاد المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ضد المالك النصرانية فى اسبانيا . أنظر صفحات ٧١٨ - ٧٣٨ و ٧٩٨ - ٨٠١ و ٨٠٥ - ٨١٥ =

وقد لعب المغرب في العصر الاسلامي الوسيط دوره في الجهاد ضد الصليبيين .
فبالإضافة إلى إسهامه في الجهاد في الأندلس ضد الممالك المسيحية في شمال
اسبانيا والبرتغال في عصر المرابطين والموحدين ، وفيما بعد في عصر بني نصر ،
وهو جهاد لم ينقطع خلال القرون السادس والسابع والثامن الهجري (القرون
١٢ - ١٤ م) ، وذلك على الرغم من مؤامرات سلاطين غرناطة واتفاقهم مع
القشتاليين ضد بني مرين - فإن المغرب العربي أسهم أيضا في مدافعة الصليبيين الغربيين
في مصر والشام ، وبخاصة إبان التكتل العربي في منطقة الشرق الأدنى الذي
يتضح في عصر صلاح الدين الأيوبي (١) .

فكل هذا يعبر في الواقع عن وحدة متينة ، ربط فيها الجهاد ضد العدو
المشترك بين العرب جميعا من المحيط الى الخليج .
ماشرا . تقودنا الآراء والنقاط السابقة إلى نتيجة أخيرة تتعلق بفكرة

= ٨١٩ - ٨٢٨ من الكتاب المذكور . راجع أيضا ليفي بروفنسال : الاسلام في
المغرب والأندلس - ترجمة الدكتور السيد عبدالعزيز سالم والاستاذ محمد صلاح
الدين حاسي - القاهرة ١٩٥٦ - ص ١٢٠ وما بعدها وص ٢٤٥ ؛ وكذلك
محمد العروسي المطوى : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب - تونس
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م - ص ١٣٥ وما بعدها ؛ Painter, op. cit., 191 ff.
(١) أنظر الخطابات المرسلة من صلاح الدين إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف
ابن عبد المؤمن ، وإلى رسوله لدى الملك المذكور سيف الدولة بن منقذ ، في
كتاب ابن واصل : مفرج الكروب - نشر الدكتور جمال الدين الشيال -
ج ٢ - ص ٤٩٦ - ٥١٧ . راجع أيضا مقال الدكتور السيد عبد العزيز سالم
وعنوانه « الصلات التاريخية بين مصر والشام في العصر الإسلامي » - مجلة
العلوم - بيروت - مارس ١٩٦٢ . يرجع أيضا إلى المراجع الواردة
بالحاشية السابقة .

الوحدة العربية المتكاملة ، وعما إذا كانت مثل هذه الهزات العنيفة التي كان العالم العربي في العصر الاسلامي يتعرض لها بين وقت وآخر هي السبب في خلقها ، أم أنها كانت أعمق من ذلك بكثير ، وأن تلك الهزات كانت مجرد عامل ساعد على إيقاظها وبعضها من مرقدتها ، أو بكلمة أخرى أيها أسبق الوحدة أم اليقظة ؟

نعرض لهذا الموضوع بعض الكتاب المحدثين ، نذكر منهم جوستاف فون جرونباوم الألماني G. von Grunbeaum ، و كلود كاهن الفرنسي G. Cahen (١) . وخلاصة رأيهما أن الخطر الصليبي لم يكن الدافع الاساسي لـ "حركة" الوحدة العربية ، التي يمكن ارجاع أصولها إلى ما قبل قيام الحركة الصليبية نفسها بفترة غير قصيرة . كما ذكرنا أن الاستعمار الغربي لم يهدد إطلاقاً قلب العالم العربي ، ولم يستطع بالرغم من كل شيء أن ينفذ إلى صميمه . وهذه حقيقة واضحة ، فلم يستطع الصليبيون في أقصى تقدم لهم ، بل لم يستطيعوا على الإطلاق ، التوغل في قلب العالم العربي ، ولم يتمكنوا بالمرّة من مدن مثل القاهرة أو دمشق أو بغداد أو حلب أو الموصل . وكل ما أمكنهم الاستحواذ عليه ، شريط ساحلي ضيق مستطيل على امتداد الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، كان ينكمش ويمتد تبعا للظروف والأحوال في كلا العالمين الغربي والعربي . فضلا عن بعض الجزر البحرية التي كان اللاتين يتحصنون بها ، ويشنون منها حملاتهم العدوانية على بلدان الشرق الأدنى . وكان يهم الفرنج الاستحواذ على المناطق الساحلية بصفة خاصة حتى يكونوا على مقربة من ديارهم بالغرب إذا دعا داعي الحرب .

(١) أنظر جرونباوم (جوستاف فون) : حضارة الاسلام - ترجمة عبد العزيز جوايد - القاهرة ١٩٥٦ - ص ٥٠ و ٥٢ ، وكذلك G. Cahen, La Syrie du Nord a l'époque des croisades, Paris, 1940, 374 - 7 .

وكيفما كان الأمر ، فإن جرونيباوم وكاهن ، وإن لم يبتا برأى نهائى فى هذا الموضوع ، إلا أن أحدث البحوث التاريخية والأثرية أثبتت وجود الوحدة العربية منذ أن وجد العرب ، وذلك فى ناحية هامة من نواحي الحضارة العربية ، ونعنى بها الفنون التى تعتبر مرآة صادقة تنعكس عليها آمال الشعوب ومثلهم ومبادئهم وأفكارهم ومنهجهم فى الحياة (١) . وإذا تتبعنا هذه النظرية فى شتى مناحى الحضارة والحياة عند العرب من المحيط إلى الخليج ، نجد أنها نظرية أصيلة يؤيدها الواقع ، وتعبّر عن وحدة عضوية شاملة لها أصولها وجذورها وعناصرها منذ قرون عديدة مضت . وحدة فى اللغة ، وفى الأصل وفى الجنس ، وفى الأرض ، وفى التاريخ . فضلا عن وحدة فى التقاليد والعادات والثقافة والفكر والنظم الاجتماعية والتراث الحضارى العريق (٢) . وحدة كانت تبعثها وتوقظها من غفوتها أحداث الزمان للوقوف فى وجه العدوان الأجنبي فى شتى صوره ومظاهره ، وفى مختلف عصوره ، وأيا كان مصدره (٣) . ومن حسن حظ المكتبة العربية أنها أصبحت الآن عامرة بالكتب والبحوث العلمية القيمة التى تتناول مقومات الوحدة العربية وأسسها فى دراسة جادة واعية (٤) .

(١) أنظر عن ذلك مؤلف الدكتور أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) - القاهرة ١٩٦١ - ص ٤٣ - ٤٩ ، وج ١ (القاهرة ١٩٦٥) ص ٢١٠ .

(٢) Cf. B. Lewis, The Arabs in History, London, 1958, 9-13.

(٣) أنظر جمال الدين الشيال : وحدة مصر وسورية - ص ٣ .

(٤) تناول الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى فى كتابه « الكيان العربى بين المقومات والامكانيات - بيروت ١٩٦٥ » ، بالدراسة والبحث والتعريف ، الكيان القومى العربى وأسسه ومقوماته . أنظر أيضا المراجع المتعلقة بالقومية والوحدة العربية فى كتابى : العرب والروم واللاتين - ص ٢٤٦ ح ١ .

وعلى هذا يجب أن نفرق بين فكرة الوحدة العربية كحقيقة تاريخية لها أصولها وجذورها ومقوماتها ، وبين حركات النهضة والافاق التي كانت تنبعث عندما يستشعر العرب الخطر ، ويفيقون من سباتهم . فمكان هذا ، بطبيعة الحال ، مما يذكر تلك الوحدة ويؤكد أصالتها وجودها .

وللعروبة تاريخ طويل مع الاستعمار حافل بالوان التضحية والجهاد والاستشهاد في سبيلها عن عقيدة وإيمان . ولقد استمرت هذه الرابطة العربية المقدسة تؤدي دورها بنجاح تام ، وتدفع عن العروبة غائلة المعتدين ، وبخاصة عندما تشتد الازمات ويدق ناقوس الخطر . وكثيرا ما أثار هذا دعر الغزاة ، وأوقع الخبل والاضطراب في صفوفهم . فكانوا يتحينون الفرص للنيل منها والتشكك فيها . كما كانوا يستخدمون سلاحهم المعروف ، سلاح الفرقة والايقاع وبذر بذور الخلاف بين أبناء الوطن العربي الواحد تحقيقا لأطماعهم واتجاهاتهم الاستعمارية . وكانت جهودهم في هذا السبيل تذهب في عصور القوة والتكامل العربي هباء منثورا . (١)

(١) تعرضنا بإيجاز للاستنتاجات الثلاثة الأخيرة في كتاب العرب والروم واللاتين - ص ٢٤٢ وما بعدها .

خاتمة

ليست الآراء والاستنتاجات التي توصلنا إليها في هذه الدراسة التحليلية للعدوان الصليبي على الشرق الأدنى العربي مجرد صدفة . إنما هي ظواهر طبيعية منطقية تنير السبيل أمام الشعوب العربية في حاضرها ، وهي تستجمع قواها وتكتل جهودها من أجل مستقبل أفضل . وهي أيضا أحكام وقواعد صحيحة ، أشبه ما تكون بالقوانين العلمية التي لا تخطئ . فضلا عما فيها من عظات وعبر ودروس .

ثم أن هذه الأفكار يمكن أن تنبثق عنها آراء ونظريات أخرى جديدة قد تغير الكثير من الشائع المعروف عن الحركة الصليبية . وبعضها لا يزال ينتظر دراسات دقيقة مستفيضة تسد نقصا في زاوية من زوايا العدوان الصليبي لا يزال الغموض يكتنفها ، أو تعدل وجهة نظر في حاجة إلى التصحيح والتصويب .

من هذه الأفكار نذكر ، على سبيل التمثيل ، فكرة انتقال العدوان الصليبي من الشام في الشمال إلى الديار المصرية في الجنوب مبكرا في القرن السادس الهجري وخلال القرن السابع الهجري (ق ١٢ - ١٣ م) ؛ وفكرة الجهاد في الاسلام والحرب عند المسيحيين الغربيين وأثر الجهاد بالقدس بالنسبة للعرب كقرض واجب الاداء في دفع العدوان الصليبي عن أراضيهم ومقدساتهم ، وتراجع مصالح الغربيين والمغول في فترة من فترات العدوان الصليبي ضد العرب في الشرق الأدنى ؛ وفكرة تغير ميزان القوى بين اللاتين والعرب ، مع بيان الأسباب والمسببات المؤدية إلى هذا التغير والنتائج والآثار المترتبة عليه ، وفكرة مركز

الثقل بين شقى العالم وقتذاك وفلسفتها، وما يتصل بها من التزام سياسة معينة دفاعية كانت أم هجومية؛ والفوارق الدقيقة بين الوحدة واليقظة والتجمع العربى العادى، وما يعنيه كل مصطلح من هذه المصطلحات الثلاثة وايدولوجيته؛ ثم دور الحركة الصليبية كعدوان توسعى استعمارى اتسم بالبربرية والتعصب والعنف فى إنماء الروح القومية عند العرب ضد الغزاة؛ وموقف جزيرة قبرص عندما كانت خاضعة للاتين الغربيين أثناء العدوان الصليبي، وكيف كانت مصدر متاعب ومضايقات لمصر وبقية دول الشرق العربى بسبب قربها منها من ناحية وقربها من مراكز امداداتها بالغرب الأوروبى من ناحية أخرى . وكذلك الصلة بين العدوان الصليبي الشرقى وبين وجود قوة عربية ضاربة تحمى مصر والشرق العربى وتضمن للعروبة الأمن والسلامة؛ ولماذا وجب أن تكون القوات البرية فى الأراضى العربية والقوات البحرية فى المياه العربية فى حالة يقظة دائمة وتفوق واضح. ثم دور الشعوب العربية فى المغرب الإسلامى فى المساهمة فى مدافعة العدوان الصليبي عن دول الشرق الأدنى . وأخيرا دور القاهرة الطليعى باعتبارها قلعة النضال والدرع الواقى للعالم العربى ضد أى عدوان خارجى يقع عليه .

كل فكرة من هذه الأفكار يصبح أن تكون نواة لدراسات تحليلية مستقلة تثمر بحوثا طيبة قيمة تضيف جديدا إلى العلم والتاريخ والاثاث الإنسانى بوجه عام، وإلى العرب والعروبة والمكتبة العربية بوجه خاص .

مصادر البحث ومراجعته

أولا - المصادر الأصلية :

أ - المصادر العربية

ابن الأثير الجزري (ت ٥٦٣٠ / ١٢٣٤م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم
الملقب عز الدين :

١ - منسختات من كتاب « الكامل في التاريخ » ، أنظر

R. H. C. - H. Or., t. I, Paris, 1872 & t. II, 1e. partie, Paris, 1887.

٢ - « تاريخ الدولة الاتابكية ملوك الموصل » ، أنظر

R. H. C. - H. Or., t. II, 2e. partie, Paris, 1876, 5 - 375.

ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥م) أبو الفضل محمد :

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - بيروت ١٩٠٩ .

ابن شداد (ت ٥٦٣٢ / ١٢٣٨م) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم :

سيرة صلاح الدين « السيرة اليوسفية » المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن
اليوسفية - نشر وتحقق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤ .

ابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩م) أبو الفلاح عبد الحى بن علي بن محمد :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ٨ ج - القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .

ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد علي بن محمد :

ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ .

ابن كثير القريشي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م) مهدي الدين أبو القدا اسماعيل

ابن عمر :

البداية والنهاية في التاريخ - ١٤ ج - القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨ هـ .

ابن ممتي (ت ٨٦٠٦ / ١٢٠٩ م) أبو المكارم أسعد :

كتاب قوانين الدواوين - القاهرة ١٩٤٣ م .

ابن منكلي (ت ٨٧٧٨ / ١٣٧٦ - ١٣٧٧ م) محمد بن منكلي :

كتاب الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر - نسخة بالتصوير الشمسي بمكتبة آداب الاسكندرية .

ابن واصل (ت ٨٦٩٧ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :

١ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - ٢ ج - نسخة بالتصوير الشمسي بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩ تاريخ .

٢ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - ٣ ج (حتى سنة ٨٦١٥) - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠ .

ابن الوردي (ت ٨٧٤٩ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر

ابن عمر بن محمد :

تتمة المختصر في أخبار البشر - ٢ ج - القاهرة ١٢٨٥ هـ .

أبو شامة (ت ٨٦٦٥ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل :

تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين - القاهرة ١٣٦٦ / ١٩٤٧ م .

أبو الفداء (ت ٨٧٣٢ / ١٣٣١ م) الملك عماد الدين أبو الفداء اسماعيل :

المختصر في أخبار البشر - ٤ ج - استانة ١٢٨٦ هـ .

أبو المحاسن (ت ٨٨٧٤ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف

ابن تغري بردي :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ٦ ج - القاهرة ١٣٥٥ / ١٩٣٦ م .

أبو الفرج (ت ٨٦٨٥ / ١٢٨٦ م) غريغوريوس أبو الفرج الملقب :

تاريخ مختصر الدول - بيروت ١٨٩٠ .

السيوطى (ت ٨٩١١ / ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين :
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - ٢ ج - القاهرة ١٣٢٧ هـ .

عماد الدين الأصفهاني (ت ٨٥٩٧ / ١٢٠١ م) أبو عبد الله محمد بن صفى الدين :
الفتح القسى فى الفتح القدسى - القاهرة ١٣٢١ هـ .

القلقشندى (ت ٨٨٢١ / ١٤١٨ م) أحمد بن على بن أحمد عبد الله :
صبح الأعشى فى صناعة الانشا - ١٤ ج - القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٠ .

الكتبى (ت ٨٧٦٤ / ١٣٦٣ م) محمد بن شاكر :
عيون التواريخ - نسخة بالتصوير الشمسى لمجلد مكتوب عليه أنه الجزء
العشرون ، وهو يبتدىء من سنة ٦٤٥ هـ وينتهى إلى سنة ٦٧٠ هـ - محفوظ بدار
الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ .

المقرئى (ت ٨٨٤٥ / ١٤٤٢ م) تقي الدين أبو العباس أحمد :
١ - المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار جزءان - القاهرة ، ١٢٧٠ .
٢ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزءان الأول والثانى ، كل فى
ثلاثة أقسام (حتى سنة ٧٥٥ هـ) - نشر وتحقيق الدكتور محمد مصطفى زياده -
القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ .

٣ - كتاب اغاثة الأمة بكشف الغمة - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين
الشيال والدكتور محمد مصطفى زياده - القاهرة ١٩٤٠ .

٤ - تعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - نشر وتحقيق الدكتور
جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٤٨ .

النورى (٨٧٣٢ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد :
نهاية الارب فى فنون الأدب - ٥٥ مجلدا - نسخة بالتصوير الشمسى بدار
الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ب - المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix, *Historia Hierosolimitana*. Ed. R.H.C.-H.Occ., IV. Paris, 1879. (pp. 235 - 713).
- Ambroise, *The Crusade of Richard Lion-Heart*, trans. from the Old French by M. J. Hubert. New York, 1941.
- Anna Comnena, *The Alexiad*. English Trans. by Elizabeth A.S. Dawes. London, 1928.
- Baudri de Bourgueil, *Historia Jerosolimitana*. Ed. R.H.C.-H.Occ., IV. Paris, 1879. (pp. 1-411).
- Eracles, *L'Éstoire de Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'Outremer*. Ed. R.H.C.-H.Occ., t. II, Paris, 1859. (pp. 1-181).
- Foucher de Chartres, *Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium*. Ed. R.H.C.-H.Occ., III. Paris, 1866. (pp. 311-485).
- Grégoire le Prêtre, *Chronique*. Ed. R.H.C.-Doc. Arm., I. Paris, 1869. (pp. 151-201).
- Guibert de Nogent, *Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos*. Ed. R.H.C.-H.Occ., IV. Paris, 1879. (pp. 113-263).
- Guillaume de Tyr, *Historia rerum in partibus transmarinis gestarum*. Ed. R.H.C.-H.Occ., LI, 2e. partie. Paris, 1841. (pp. 1-1134).
- Hagenmeyer, H. (ed.), *Epistolae et chartae ad historiam primi belli sacri spectantes*, 1901.
- Jean de Joinville, *Histoire de Saint Louis*. Ed. M. N. de Wailly. Paris, 1874.
- Matthieu d'Edesse, *Extraits de la Chronique de Matthieu d'Edesse*. Ed. R.H.C.-Doc. Arm., t. I. Paris, 1869. (pp. 1-180).
- Raimond d'Agiles, *Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem*. Ed. R.H.C.-H.Occ., III. Paris, 1866. (pp. 231-307).

Robert le Moine, Historia Iherosolimitana. Ed. R.H.C.-H.Occ., III, Paris, 1866. (pp. 717—882).

Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr dite du manuscrit de Rothelin (1229—1261). Ed. R.H.C.-H.Occ., II. Paris, 1859. (pp. 489—639).

Vartan le Grand, Extrait de l'histoire universelle: Ed. R.H.C.-Doc. Arm., I. Paris, 1869. (pp. 431—443).

ثانيا - المراجع الحديثة :

أ - المراجع العربية والمعرّبة

أحمد فكري (دكتور) : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) - القاهرة ١٩٦١ .

السيد عبد العزيز سالم (دكتور)

١ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة - بيروت - ١٩٦٣ .

٢ - المغرب الكبير - الجزء الثاني: العصر الاسلامي - الاسكندرية ١٩٦٦ .

٣ - الصلات التاريخية بين مصر والشام في العصر الاسلامي - مقال بمجلة العلوم ببيروت - عدد مارس ١٩٦٢ .

باركو (ارنست) : الحروب الصليبية - ترجمة الدكتور السيد الباز العريفي - القاهرة ١٩٦٠ .

بروفنسال (ليفي) : الاسلام في المغرب والاندلس - ترجمة الدكتور

السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامى - القاهرة ١٩٥٦ .

جرونيباوم (جوستاف فون) : حضارة الاسلام - ترجمة عبد العزيز

توفيق جاويد - القاهرة ١٩٥٦ .

جمال الدين الشيال (دكتور) :

- ١ - مصر والشام بين دولتين - القاهرة ١٩٤٧ .
- ٢ - مجل نابيخ دمياط سياسيا واقتصاديا - الاسكندرية ١٩٤٩ .
- الاسكندرية - طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٤ - وحدة مصر وسورية في العصر الاسلامي - المحاضرة الثانية من المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية في العام الجامعي ١٩٥٨/٥٧ - الاسكندرية ١٩٥٨ .

- ٥ - مجموعة الوثائق الناطمية - الجزء الأول : وثائق الخلافة والوزارة - الطبعة الثانية - الاسكندرية ١٩٦٥ .
- جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

- ١ - لويس التاسع في الشرق الأوسط « قضية فلسطين في عصر الحروب الصليبية » - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢ - هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣ - العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى - الاسكندرية ١٩٦٣ .

- ٤ - الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية - مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - السنة ١٩٦٣/٦٢ - الاسكندرية ١٩٦٣ - (ص ١٨٣ - ٢١١) .

حسن حبشي (دكتور) :

- ١ - الحرب الصليبية الأولى - القاهرة ١٩٤٧ .
- ٢ - نور الدين والصليبيون - القاهرة ١٩٤٨ .

٣ - الشرق العربي بين شقي الرحى «حملة القديس لويس على مصر والشام» -
القاهرة ١٩٤٩ .

ديفز (. ه . و) : أوروبا في العصور الوسطى - ترجمة الدكتور عبد الحميد
حمدي محمود - الاسكندرية ١٩٥٨ .

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف
يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن الموحدى - مقال بمجلة كلية الآداب
بجامعة الاسكندرية - المجلدان السادس والسابع (١٩٥٢ - ١٩٥٣) - الاسكندرية
١٩٥٣ . (ص ٨٤ - ١٠٠) .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

١ - قبرس والحروب الصليبية - القاهرة ١٩٥٧ .

٢ - الحركة الصليبية - صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربى فى العصور
الوسطى - جزءان - القاهرة ١٩٦٣ .

عارف باشا العارف : تاريخ القدس - القاهرة ١٩٥١ .

عبد الفتاح عباده : سفن الأسطول الاسلامى وأنواعها ومعداتها فى
الاسلام - القاهرة ١٩١٣ .

عبد المنعم ماجد (دكتور) :

١ - الناصر صلاح الدين الايوبى - القاهرة ١٩٥٨ .

٢ - العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٦ .

عمر كمال توفيق (دكتور) :

١ - مملكة بيت المقدس الصليبية - الاسكندرية ١٩٥٨ .

٢ - الامبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الاراضى المقدسة (٩٦٣ -

١٠٦٩ م) - الاسكندرية ١٩٥٩ .

كلارى (ر .) : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين - ترجمة وتقديم

الدكتور حسن حبشى - القاهرة ١٩٦٤ .

- كوبلاند (ج.و.) وفينو جرادوف (ب) : الاقطاع والعصور الوسطى
في غرب أوروبا - ترجمة الدكتور محمد مصطفى زياده - القاهرة ١٩٥٨ .
- كزلتون (ج.و.) عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة
وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف - الاسكندرية ١٩٦٤ .
- لطفى عبد الوهاب يحيى (دكتور) : الكيان العربى بين المقومات والامكانيات -
بيروت ١٩٦٥ .
- محمد مصطفى زياده (دكتور) : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمة في
المنصورة - القاهرة ١٩٦١ .
- تيسخايل عواد : المآصر في بلاد الروم والاسلام - بغداد ١٩٤٨ م .
- هارتمان (ل.م.) وباراكلاف (ج.و.) : الدولة والامبراطورية في العصور
الوسطى - ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف - الاسكندرية ١٩٦٦ .

ب - المراجع الأجنبية

Atiya, A. S.,

1 — The Crusade in the Later Middle Ages. London, 1938.

2 — Crusade, Commerce and Culture. Bloomington, 1962.

Baldwin, M. W., The Mediaeval Church. New York, 1960.

Bréhier, L., L'Eglise et l'Orient au moyen âge. Paris, 1928.

Cahen, C.,

1 - La Syrie du Nord a l'époque des Croisades. Paris, 1940.

2 - Un traité d'armurerie composé pour Saladin, Bulletin
d'Etudes Orientales, t.XII, 1947-1948.

Calmette, J., Le Monde Féodal. Paris, 1937.

Cantor, N.F. (ed.), The Medieval World: 300-1300. New York, 1963.

Gabrieli, F., Les Arabes (Gli Arabi). Traduit de l'Italien par
Marie de Wasmer. Paris, 1963.

Grousset, R.,

1. Histoire des Croisades. 5 vols. Paris, 1748.
2. The Sum of History. Oxford, 1951.

Hamdy, A. H.,

1. «The Western Attitude to Islam as Viewed by Arnold of Lübeck,» Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University, Vol. X, — Dec. 1956, Alexandria, 1956 (pp. 77-84).
2. «Philippe de Mézières and the New Order of the Passion,» Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University, Part I, Vol. XVII - 1963, Alexandria, 1964, (pp. 45 - 56); Part II, Vol. XVIII-1964, Alexandria, 1964, (pp. 1-41).

Hitti, P. K., History of the Arabs from the Earliest Times to the Present. London, 1964.

Katz, S., The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe. New York, 1960.

LaMonte, J. L., The World of the Middle Ages. New York, 1949.

Lane-Poole, St.,

1. The Story of Cairo. London, 1924.
2. A History of Egypt in the Middle Ages. London, 1936.

Lewis, B., The Arabs in History. London. 1958.

Lot, F., Les Invasions Barbares. Paris, 1942.

Masson, G., Medieval France. London, 1888.

Oman, Ch., A History of the Art of War in the Middle Ages.
2. vols. London, 1924.

Painter, S., A History of the Middle Ages: 284-1500. London, 1966.

Pirenne, H.,

1. Medieval Cities. Trans. from the French by F. D. Halsey. Princeton, 1948.
- 2 Economic and Social History of Medieval Europe. London, 1961.

Pirenne, J., Les Grands Courants de l'Histoire Universelle. T. II: de l'Expansion Musulmane aux Traités de Westphalie. Neuchatel, 1947.

Riant, P., *Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades.*

Ed. A.O.L., I. Paris, 1881 (pp. 1-224).

Runciman, S., *A History of the Crusades.* 3 vols. Cambridge, 1954-5.

Setton, K.M. (ed.), *A History of the Crusades. Vol. I: The First*

Hundred Years, ed. by M. W. Baldwin. Philadelphia, 1958.

Stevenson, W., *The Crusaders in the East.* Cambridge, 1907.

Sullivan, R.E., *Heirs of the Roman Empire*, New York, 1960.

Trevelyan, G., *A Shortened History of England.* Aylesbury, 1960.

Wiet, G., *Histoire de la Nation Egyptienne.* t. IV: *l'Egypte Arabe de la conquête Arabe a la conquête Ottoman.* Paris. 1937.

بيان بالمختصرات

A.O.L.	- Les Archives de l'Orient Latin.
R.H.C.-Doc. Arm	- Recueil des Historiens des Croisades. Documents Armeniens.
R.H.C.-H.Occ.	- Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Occidentaux.
R.H.C.-H.Or.	- Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Orientaux.

الخرائط

خريطة رقم ١	دولة المماليك البحرية في أواسط القرن الثامن الهجري (أواسط ق ١٤ م) .
خريطة رقم ٢	المستعمرات اللاتينية في الشرق الأدنى العربي إبان العدوان الصليبي .

اللوحات

لوحة رقم ١	بيت المقدس كما يبدو من جبل الزيتون .
لوحة رقم ٢	قبة الصخرة .
لوحة رقم ٣	كنيسة القيامة .
لوحة رقم ٤	تضامن الجيش والشعب العربي في مصر ضد قوات العدوان أثناء معركة المنصورة (منتصف القرن السابع الهجري/ق ١٣ م).

خريطة رقم ١



لوحة رقم ١



بيت المقدس كما يبدو من جبل الزيتون
وتظهر في الصورة قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى اليسار،
وكنيسة القيامة خلف قبة الصخرة إلى اليمين .

لوحة رقم ٢



قبة الصخرة

لوحة رقم ٣



كنيسة القيامة

لوحة رقم ٤



تضامن الجيش والشعب العربي في مصر ضد قوات العدوان
أثناء معركة المنصورة
(منتصف ق ٥٧ / ق ١٣ م)

فهرس عام

- (١)
- الله ٤٢، ٧٤، ٨٤، ١٥٤، ٤٢، ٤٩، ٢٢
٥٣
- ابن العماد الكاتب ١٦
- ابن الفلانسى ١٦، ١٤
- ابن كثير ١٦
- ابن الوردى ١٦
- ابو القداء ١٦
- الانراك العثمانيون ٣٧، ٣٩، ٤٠ -
- ٤٢، ٤٧
- الأراضى المقدسة ١٠، ٩، ٧، ٢٢ ح
- ١٠، ٣١، ٣٨، ٤٦، ٤٦ ح ١
- ٤٩، ٥٠، ٥٩ - أنظر بيت
- المقدس، والعدوان للصليبي
- اربان الثانى (البابا) ٧، ٧ ح ١
- ارمينية ٤٠، ٤١، ٤١ ح ١
- ارنولد اوف ليبك ١١ ح ١
- الأزهر (الجامع) ٥٣
- اسبانيا ٣، ٤، ١٠، ١٠ ح ١، ٦٠ ح ٢
- ٦١
- الاستعمار الاوروبى ١٠، ٤٣، ٦٢، ٦٢
- ٦٤ - انظر العدوان الصليبي
- اسد الدين شير كوه ٥٢ ح ٢
- الاسكندرية ٣٧، ٣٩، ٤١ ح ١
- الاسلام ٢، ٧، ١٦، ٢٠، ٣٣، ٣٣
- ٣٥، ٤٩، ٥١ ح ١، ٥٨
- آسيا الصغرى ٢، ٤، ١٢، ١٤، ١٤
- ١٥
- الأشرف خليل ٣١
- افريقية (شمال) ٢
- البرت دكس ١٥
- السيد رعب العزيز سالم (دكتور)
- ٦٠ ح ٢، ٦١ ح ١
- الكسيس كومنين ١١ ح ١، ١٥ ح ٢
- الامبراطورية (فى العصور الوسطى)
- ٣٧
- الامبراطورية البيزنطية ١، ٢، ١١، ١١
- ٤٠، ٤١
- امورى الأول ٢ ح ٢
- الاندلس ٦٠ ح ٢، ١١
- انطاكية ١٣، ٣١، ٤٧ - إمارة
- ١٢، ٢٤
- انوست الرابع (البابا) ٣٣
- اوروبا ٤، ٧، ٩، ١١، ١١ ح ١
- ١٢، ١٩، ٣٣، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٠
- ٤٥، ٤٩ - انظر الغرب اللاتينى
- الاوربيون ٢، ١٢، ١٥، ٢٠، ٢٠

بوهيمند النورماندى ١١
 يبيرس (الظاهر) ٣١
 بيت المقدس ١٠، ١١، ١٥، ١٥٤ ح
 ١٥٤، ١٨، ٢٢ ح ٣٠، ٢٩ ح
 ٣٧، ٣٣، ١ - أنظر الأراضى
 المقدسة، والعدوان الصليبي
 بيروت ٣١
 بيرين (هنرى) ٣
 بيزا ١١، ٢٥
 بيوس الثانى (البابا) ٣٩
 (ت)
 التركان (قبائل) ١٣
 تركيا ٣٩
 تريفييليان (جورج) ٩
 توما (بطرس) ٣٧
 تونس ٣٠
 (ج)
 جانوس (ملك قبرص اللاتينى)
 ٤٢ - أنظر قبرص
 الجرمان ٢٤١ - أنظر الفرنج
 جروسية (رينيه) ٩، ٢٣ ح ٤١
 ٢٥، ٤٦ ح ١
 جرونيباوم (جوستاف فون) ٦٢،
 ٦٣

٢٥، ٤٣، ٤٦، ٦٠ - أنظر
 الغربيون، والفرنج، واللاتين
 اومان (شارل) ١٢
 ايطاليا ٣، ٤
 (ب)
 البابوية ٣٧، ٤٣
 باركر (ارنست) ١٧
 البحر الابيض المتوسط ١ - ٥٥
 ١٩، ٢٦، ٣٧، ٣٩ - ٤١، ٤٠
 ٤٧، ٥٤، ٦٠، ٦٢
 البحرية العربية (فى العصر الاسلامى)
 ٢٨، ٤١، ٥٤ - ٥٧، ٦٦
 البرانس (جبال) ٣
 البرتغال ٦١
 برقة ٢٧
 برين (جان دى) ٣٠ ح ١ - ٥٤
 أنظر العدوان الصليبي
 بغداد ١٣، ٣٤، ٣٥، ٤١، ٦٢
 بلدوين (مارشال) ١٩
 البلقان ١، ٣٧، ٤٠، ٤١
 البندقية ١١، ٢٥
 بنومرين ٦١
 بنو نصر ٦١
 بودرى دى بورجى ٧

الدولة العباسية ١٣٤٤، ٣٤٤، ٣٥٤
الدولة العثمانية ٣٨ - أنظر الأتراك
العثمانيون
الدولة العربية ٥، ٢ - أنظر العرب
ديبوا (بطرس) ٣٧
ديفز (و.و. كارلس) ١٠٤٩
ح ١

(د)

رتيف (وليم) ٤٩ ح ٢
رجال الدين اللاتين ٤٩ ح ٢ - أنظر
الكنيسة اللاتينية
رنسيان (ستيفن) ٢٣ ح ١، ٢٥٤
ح ٤٦
الرها (امارة) ١٢، ٢٤
روبرت الأول (أمير الأراضي
الواطئة) ١١ ح ١
روبرت الراهب ٨
رودس ٤٠، ٤٢
الروم ٢، ٤، ٥ - دولة ٤ - أنظر
الامبراطورية البيزنطية
روما ١
الرومان القدماء ٤
ريان (بول) ٨
ريمون داجيل ١٥

جمال الدين الشيال (دكتور) ١٠٤
٥١، ٢٨ ح ١، ٥٢، ٥٨ ح ١
٦٠ ح ١
جنوه ١١، ٢٥
جوانفيل (جان دي) ٥٢
جيهرت دي نوجان ٧
جيون (إدوارد) ١٠١ ح ٢
الجيش العربي (في العصر الاسلامي)
٥٤-٥٧، ٥٩، ٦٦

(ح)

حسن حبشي (دكتور) ١٠، ١٥
ح ٢١، ٢٢ ح ١
حطين (موقعة) ٢٨، ٢٩
حلب ١٣، ١٤، ٢٤، ٢٧، ٥٢
ح ٢، ٦٢
حيفا ٣١

(د)

دمشق ١٣، ١٤، ٢٤، ٦٢
دمياط ١٧
الدولة (في العصور الوسطى) ٢٢،
٢٢ ح ١
الدولة الأيوبية ٤٧، ٥٠، ٥٢ ح
٢، ٥٤-٥٦
الدولة الرومانية القديمة ١

(س)

ستيفنسون (وليم) ٥٨
 السلاجقة ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ح ١
 ٤٠ ، ٢٤
 سليمان الأول ٤٢
 سورية ١٤ ، ١٥ ، ٤٧ ، ٥٨ ح ١
 ٦٠ ح ١ - شعب ٥٩ - أنظر
 الشام
 سيف الدولة بن منقذ ٦١ ح ١

(ش)

الشام ٢ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٦
 ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ - ٣٥ ، ٤١
 ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ح ٢
 ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ - شمال ٤ ، ١٢
 ٢٤ ، ٤٧ - أنظر سورية

شبه جزيرة العرب ٢

الشرق الأدنى العربي (الشرق العربي)
 ٩ - ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ - ٢٤
 ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ - ٣٥ ، ٣٨ ، ٤١
 ٤٥ - ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠ - ٦٢
 ٦٥ - أنظر العرب

الشرق الأقصى ٣٤ ، ٤٩ - أنظر
 المغول

شلمو برجيه (جوستاف) ٥٢ ح ٢

(ص)

الصالح نجم الدين أيوب ١٧ ، ١٩
 ح ١ ، ٣٠ ح ١
 صقلية ٤٤ ، ٤٣
 صلاح الدين الأيوبي ١٨ ، ١٨ ح ٢
 ٢٧ - ٢٩ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٨
 ٥٨ ح ١ ، ٦١ ، ٦١ ح ١
 الصليبيون ١١ ح ١ ، ١٢ ، ١٤ - ١٦
 ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٨ ح ١
 ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠
 ٤١ ح ١ ، ٤٦ ، ٤٦ ح ١ ، ٥٠
 - ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١
 ٦٢ - وفكرة الاتجاه نحو مصر
 ٥٢ ح ٢ ، ٦٥ - أنظر
 الأوروبيون ، والغربيون ،
 والفرنجة ، واللاتين

صور ٣١

صيدا ٣١

(ط)

طرابلس ٣١ ، ٤٧ - إمارة ٢٤
 طليطلة ٤

(ع)

العادل سيف الدين بن أيوب ٥١
 ح ١

العرب ٢-٧٤٥-١٤١٢٤٩
 ١٧٤١٩-٢٤٤٢٣٤٢١
 ٢٦٤٢٩٤٣٣-٣٨٤٣٥
 ٤١ ح ٤٥٤١-٥٣٤٥٠
 ٥٧-٦٣٤٦١-٦٥-إنقسام
 وتفكك ٤٤٤٢-١٣٤٧٤٥
 ١٤٤١٨-٢٣٤٢٥٤٥
 ٤٨٤٥٩-١٨٤١٥-تحضر
 ١٨ ح ٢-ترابط وتكتل ٣٣٤٣
 ٣٥٤٣٨٤٤٧٤٥٤٣٨
 ٥١٤٥٤٥٧-٦١٤٥٩
 ٦٤٤٦٦-٦٦٤٦٤-جهاد
 ٢٧٤٤٠٤٤٨٤٥٣٤٥٤
 ٥٧-٥٩٤٦١٤٦٥-الشعور
 الق-ومي ٦٦-النشج ٣٤٢-
 المؤرخون ١٦٤١٣-وحدة
 ٢٣٤٣٤٨٤١٤٢١-٢٣
 ٢٦-٢٨٤٢٨٤٥٧٤٥٨٤٥٨ ح
 ٦٠٤١ ح ٦٢٤١-٦٦٤٦٤
 - وسياسة الدفاع ٤٥٤٥-
 وسياسة الهجوم ٤٥-وميزان
 القوى ٤٤٤٢١٤٢٤-٢٦
 ٢٩٤٤٥٤٦٤٦ ح ١
 ٦٥-٦٦-بقطعة وافاقة ٢١
 ٢١ ح ٢٤٤٢٧٤٢٨٤٣٠
 ٣٩-٤٣٤٦-٤٨٤٥١٤

العالم العربي ٤٤١٧٤٧٤٢٣
 ٤٣٤٤٣٠٤٤٦٤٥٥٢
 ٥٩٤٦٢٦٦-أنظر العرب
 عبد الحميد حمدي محمود (دكتور) ١٧
 العدوان الصليبي ٧٤٧٤٧ ح ١
 ٨-١١٤١٣٤١٤١٦-١٨
 ٣٠ ح ٣٣٤٣٧٤١٤٦٤٦
 ٤٩٤٥١٤٥٤٤٥٦ ح ١
 ٥٦ ح ٢٤٥٧٤٥٩٤٦٢
 ٦٥-الاتجاه الاستعماري ٧-
 ١١٤٥٠٤٦٦-الادعاء الديني
 ٧-١٢٤٢٠٤٣٧٤٠-الحملة
 الأولى ٩٤١٠٤١٥ ح ١-٢
 ٢١٤١٤١ ح ١٥٤١-الحملة الثانية
 ٥١-الحملة الثالثة ٢٩٤٢٩ ح ١
 ٥٤-الحملة الرابعة ١١-الحملة
 الخامسة ٣٠ ح ١٤٤٥-الحملة
 السابعة ٣٠ ح ١٤٣٣٤٥٤-
 الحملة التاسعة ٣٠ ح ٢-
 الحملات المتأخرة ٣٧٤٣٩ ح ١
 ٤١٤٦٤٤٧ ح ١-الفكرة
 الصليبية ٣٧٤٣٩٤٤٣٤٤٩
 ٤٩ ح ٢-المستعمرات اللاتينية
 ٧٤٨٤١٠٤١٥٤١٩٤٢٢
 ٢٨-٣٠٤٣٥٤١٤٥٨
 العراق ٢٤٤٢٦٤٣٤٤٧

غرناطة (سلاطين) ٦١

(ف)

فارس ٣٣

الفاطميون ١٣، ١٣ ح ١٥، ٢

١٥ ح ١٥، ٢٤، ٥١، ٥٢ ح ٢

الفرات ١٢، ٢٧

الفرنج ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٨

٣١، ٣٣، ٤٠، ٤٢، ٤٦ ح ١

٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢ ح ٢، ٥٤

٥٨، ٦٠، ٦٢ - انهيار ٣١ -

بربرية ١٥، ١٦، ١٨، ٥١ -

خلافت ٢٣ - أنظر العدوان

الصلبي

فرنسا ٣، ٣٠

فلسطين ٨، ١٠، ١٩، ٢١، ٢٢

٢٨، ٣١، ٥٣ - أنظر الأراضي

المقدسة، وبيت المقدس،

والعدوان الصليبي

فوشيه دي شارتر ٧

فيليب حق ١١

(ق)

القاهرة ٢٨، ٥١، ٦٢، ٦٦

قبة الصخرة ١٥، ١٦

قبرص ٣٣، ٤٠، ٦٦ - المملكة

٥٧، ٦٢، ٦٤، ٦٦

العصور الوسطى ١، ١٢، ٤٣

عكا ٣٠ ح ١، ٣١، ٣٧، ٤٧

عماد الدين زنكي ٢٧، ٢٧ ح ١

٢٨، ٤٦

عمر كمال توفيق (دكتور) ٤ ح

٣، ٢٥ ح ١

عين جالوت (موقعة) ٣٥، ٣٧ -

أنظر المغول

(غ)

الغرب الأوروبي ٢، ٩، ١١، ١٢

١٩، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٣٧ -

٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥١

٥٥، ٦٢، ٦٦ - ضعف وانهايار

٢ - ٣، ٣٨، ٤٩ - والاستعمار

١٩ - وسياسة الدفاع ٢ -

وسياسة الهجوم ٥ - أنظر -

أوروبا، والعدوان الصليبي،

والفرنج

الغرييون (أهل الغرب) ٤، ٥، ٧

٨، ١٩، ٢١، ٢٨، ٣٣، ٤٩

٤٩ ح ٢، ٥٥، ٦٥ - المؤرخون

٣، ٧، ٨، ١٠، ١١ ح ١ - أنظر

الأوروبيون، والفرنج،

واللاتين

لال (رامون) ٣٧
لامونت (جون) ٢٩ ح ١
لطفى عبد الوهاب يحيى (دكتور)
٦٣ ح ٤
لوزنيان (آل) ٤٢ - بطرس ٣٧ ،
٣٩ ح ١ ، ٤١
لويس (برنارد) ٩
لويس الثانى (دوق بوربون) ٣٧
لويس التاسع (ملك فرنسا) ١٨ ، ١٩
ح ١ ، ٣٠ ح ١ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ،
٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ - أنظر العدوان
الصلبي
ليون (مجلس) ٣٣

(م)

محمد الثانى (السلطان العثمانى) ٤٢
محمد مصطفى زيادة (دكتور) ١٠
المرابطون ٦٠ ح ٢ ، ٦١
مزيير (فيليب دى) ١٧ ، ٣٧ ،
٣٩ ح ١ ، ٤٣
المستنصر (محمد بن يحيى) ٣٠ ح ٢
المسجد الأقصى ١٥ ، ١٦
المساهمون ١٠ ح ١ ، ١١ ح ١ ، ١٧ ،
٣١ ، ٦٠ ح ٢
المسيحية ٢ ، ١١ ، ٤٩
المسيحيون ١٠ ح ١ ، ٦٠ ح ٢ -

اللاتينية فى ٤١ - والعدوان
الصلبي ٤١-٤٣ - أنظر العدوان
الصلبي ، ولوزنيان
القسطنطينية ٤٠ ، ٤١ أنظر الأبراطوية
البزنطية ، والروم
قلاوون (المنصور سيف الدين) ٣١
(ك)

الكاثوليكية ١٧ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٤٩
الكامل محمد ١٧ ، ٣٠ ح ١
كاهن (كلود) ٦٢ ، ٦٣
كرت ٣
كلارى (روبرت) ١١
كليرمون (مؤتمر) ٧
كنيسة القيامة ٨ ، ٩

الكنيسة اللاتينية (فى الغرب) ٤٣
كولتون (ج. ج.) ١ ح ٢
كومينا (أنا) ١١ ح ١ ، ١٥ ح ٢
(ل)

اللاتين ٢ ، ٤ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ١١ ح ١ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٣ - ٣٧ ، ٣٥ ،
٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ،
٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ -
انظر الأوروبيون ، والصلبيون ،
والفرييون ، والفرينج .

٤٠ - ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٠ - دولة

٥٥ ، ٥٤ ، ٣٧

المهدية ٣٧

الموحدون ٦٠ ح ٦١ ، ٢

الموصل ٢٧ ، ٦٢ - أتابكة ٢٤

(ن)

النوبة ٢٧

نور الدين محمود ٢٧ ، ٢٧ ح ١

٢٨ ح ١ ، ٤٦ - ٤٧ ، ٥٢ ح ٢

٥٨

النورمان ٤

النويرى ٣٩ ح ١

(هـ)

هولاكو ٤١ ح ١

هيتوم الأول ٤١ ح ١

(و)

وليم الصورى ٢٨

(ى)

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

٦١ ح ١

الين ٢٧

الشرقيون ١٧ - الغربيون ٦٥ -

أنظر الأورويون ، والروم ،

والصليبيون ، والغربيون ،

والفرنجة ، واللاتين

مصر ٢ ، ١١ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،

٢٦ ، ٢٨ ح ١ ، ٢٩ ، ٣١ ،

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ،

٤٧ ، ٥٠ - ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ -

معقل القوى العربية ٣٤ ، ٥١

- ٥٤ ، ٥٢ -

المصريون ١٨ ، ٥٣ ، ٦٠ - أنظر

العرب

المعظم توران شاه ١٩ ح ١

المغرب العربى ٦٠ ، ٦٠ ح ٦١ ، ٢

٦٦

المغاربة ٦٠

المغول ٣٣ - ٣٧ ، ٣٧ ح ١ ،

٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٥ -

والعدوان الصليبي ٣٣ - ٣٥ ،

٤٩ - ٥٠ - والعرب ٣٣ - ٣٥ ،

٤١ ح ١ ، ٤٩ - ٥٠ - واللاتين

٣٤ ، ٤٩ - ٥٠ ، ٦٥ - أنظر

العدوان الصليبي

المقرىزى ١٦

الممالك البحرية ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ،

محتويات البحث

صفحة	
ز	مقدمة
١	البحر المتوسط « بحيرة عربية »
٧	الحركة الصليبية عدوان استعماري
١٥	بربرية الفرنج وتحضر العرب
٢١	توازن القوى بين العرب والفرنج
٢٧	يقظة العرب في القرن السادس الهجري (ق ١٢م)
٣٣	المغول والعدوان الصليبي
٣٧	العدوان الصليبي في القرن الثامن الهجري (ق ١٤م)
٣٩	يقظة العرب في القرنين الثامن والتاسع الهجري (ق ١٥م)
٤٥	آراء واستنتاجات
٦٥	خاتمة
٦٧	مصادر البحث ومراجعته
٧٨	الخرايط واللوحات
٨٥	فهرس عام
٩٣	المحتويات

